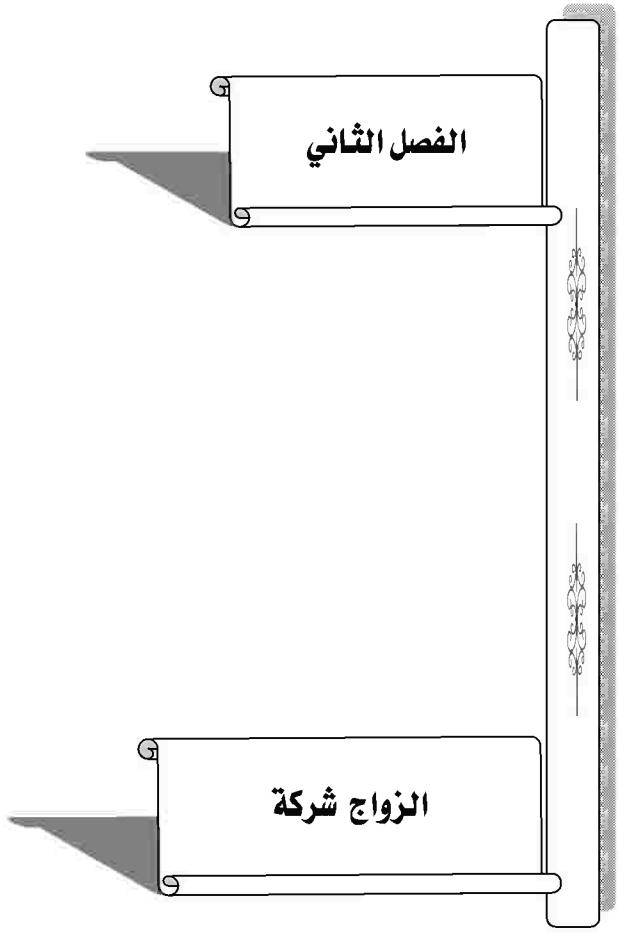
الفصل الثاني
الزواج شركة

الزواج شركة

بعد أن تعرفنا علي مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة والتي تمثلت في دعوته لتكوين الأسرة عن طريق الزواج ، ثم الترغيب في الزواج ، وضرورة تيسيره ، وبيان الحكمة من الزواج . شرع الإسلام بعد ذلك في وضع الأسس التي تضمن سعادة هذا الزواج واستمراره فأرشد كلاً من الزوج والزوجة إلي ضرورة وأهمية حسن الاختيار لأنه الأساس الأول الذي يبني عليه الزواج فوضع معايير لاختيار الزوجة وأخري لاختيار الزوج . ثم أوجب علي كل طرف منهم حقوقاً وواجبات وأمرهما بالقيام بها علي أحسن وجه حتى يجنيا ثمرة الزواج ويهنئا بالعيش في ظله .

ولكن فى البداية وقبل الحديث عن الحقوق لابد أن يعلم كلٌ من الزوجين أن الحياة الزوجية شركة تقوم علي دعائم ثلاثة : ذكرها الحق تبارك وتعالي متدرجة في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : ٢١] .

فالركن الأول في الحياة الزوجية هو : السكن ، وكلمة سكن تعبر تعبيراً بليغاً عن شعور الشوق واللذة والراحة الذي يجده كلٌ من الزوج والزوجة باتصالهما وبإفضاء كلٍ منهما للآخر والذي يزول معه أعظم اضطراب فطري في القلب والعقل لا تهدأ النفس بدونه .

ومن كثرة إفضائهما وتكرار هذا الشعور بهذه اللذة تتولد عنه المحبة والمودة وهى الركن الثاني ، ثم يكون من نتيجة هذا الإفضاء أن يخرج الله لهما ما تقر به أعينهما وهو الولد الذي يبعث فيهما الرحمة والشفقة . وهذا هو الركن الثالث في الحياة الزوجية . ([1])

من هنا نعلم أن الزواج وإن كان شركة ولكنه ليس شركة بالمعني المادي بل هي شركة روحية يحرص كل شريك فيها علي إسعاد شريكه لتنجح الشركة وتربح .

ولكي تنجح هذه الشركة لابد أن يُحدَد لكل شريك ما له وما عليه في هذه الشركة حتى يقوم بما عليه دون تقصير وهو ما نسميه بالحقوق الزوجية وهذا ما سنوضحه في السطور التالية .

الحقوق الزوجية

وعند الحديث عن الحقوق الزوجية كنت في حيرة شديدة من أمري أأبدأ بالرجال أم بالنساء فرأيت حتى لا أكون متحيزاً لبني جنسي. أن أبدأ بالكلام عن حق الزوجة أولاً ولأن الزوجة هي عماد الأسرة .

فرأيت أن أبدأ أولاً بمخاطبة أقراني من الرجال موضحاً ومذكراً إياهم بحقوق الزوجة عليهم حتى يتسنى لنا نحن الرجال أن نطالبهن بحقوقنا بعد ذلك .

فليقدم الرجال أولاً عطائهم للنساء ثم يطالبوهن بعد ذلك بحقوقهم عليهن وسوف أستفيض كثيراً في بيان حقوق الزوجة وسوف أتعرض لأدق التفاصيل ولن أستحي أو أتحرج من ذكر أي شيء يكون لهن حق فيه .

([1]) رشيد رضا مجلة " المنار " .

وقبل الخوض في سرد حقوق الزوجة أهمس في أذن أخي الزوج عدة همسات فأقول : أخي الزوج : حاول أن تتعرف علي شريكك هذا وحاول أن تغوص في أغوار هذا المخلوق العجيب ولابد أن تعرف شيئين مهمين :

الأول : أن خَلْق المرأة في حد ذاته معجزة وآية من آيات الله في الكون الثاني : وأن خَلْق المرأة نعمة امتن الله بها على عباده وتوضيح ذلك :

خَلْق المرأة نعمة امتن الله بها علينا يقول تعالي ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ [الروم "٢٠ – ٢٢] ذكر الله هذه الآية في معرض حديثه عن امتنانه ببعض نعمه علي الإنسان فعدها الله تعالي ضمن النعم .

وكذلك أريدك أن تعلم أن خَلْق المرأة " الزوجة " معجزة ضمن معجزات وإبداعات الله في الخلق يتضح ذلك من قوله تعالي ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ [الروم : ٢١] هذه الآية تشير إلى أن خلق حواء في حد ذاته آية ومعجزة لسببين :

١– أن الله تعالي ذكرها ضمن حديثه عن إبداعاته في خلق الإنسان والسموات ، والأرض ، والليل ، والنهار ، واختلاف الألسنة ، والألوان في البشر إلي غير ذلك من المعجزات .

٢– فإذا نظرت إلي الآيات قبل هذه الآية وجدتها تتحدث عن إعجاز الله في خلق آدم ثم إعجازه في خلق حواء ثم إعجازه في خلق السموات والأرض واختلاف الألوان والألسنة يقول تعالي ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[الروم : ٢٠– ٢٣]

ووجه الإعجاز في خلق حواء أنه تعالي كان في إمكانه وقدرته أن يخلقها من تراب مباشرة كما خلق آدم ولكن اقتضت حكمته تعالى أن يخلق حواء من ضلع آدم يقول تعالي ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء : ١] وفى ذلك حكمة وهى أن يشعر آدم دائما أن حواء جزءٌ منه وتشعر حواء أنها جزءٌ من آدم فيركن ويأوي ويحن الجزء إلي كله والكل إلي جزئه.

وهذا ما وضحه الحق تبارك وتعالى في قوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

وانظر إلي التعبير عن نشأة حواء مرة بالخلق ومرة بالجعل . ولكن مادة الخلق في الحالتين واحدة وهي آدم ،. وبيّن الحكمة من هذا الجعل والخلق بهذه الكيفية حينما قال﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف : ١٨٩] ،. وإذا أردت أن تعرف ماذا تكون المرأة من الرجل تأمل قوله تعالي ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ فاللباس هو الساتر للجسد الملاصق له، وقوله ﴿نسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة :٢١٣] .

تأمل كيف قد بدأ الحق تبارك وتعالي بضمير النسوة (هن) مقدماً عطاء المرأة أولاً ثم عطاء الرجل .

وفي الآية الثانية يصف فيها الزوجة بالحرث والمقصود بالحرث الأرض التي هي مصدر الخير فكأن المرأة هي مصدر الخير للرجل فإليها يأوي وفيها يضع حبته (نطفته) ومنها يخرج له الخير كله ، وأي خيرٍ أعظم من الولد ؟

أريدك أيها الزوج أن تتأمل كل هذه المعاني قبل أن تعرف حقوق الزوجة عليك فذلك سيجعلك تعطيها حقها عن طيب خاطر وسخاوة نفس واعلم أنك سوف تأخذ أجراً عظيماً من الله لاتباعك لمنهجه وتنفيذك لأوامر نبيه ﷺ .

حق الزوجة

وإذا أردنا أن نتعرف على حقوق الزوجة نجدها نوعين : حقوق مادية ، وحقوق أدبية ومعنوية .

فلنبدأ أولاً بالحقوق المادية : وتشمل الصداق والنفقة وما يتعلق بهما من أحكام .

١- **الصداق** : وهو ما تعطاه المرأة عند الزواج تطييبا لخاطرها (١) وإعلاءً لشأنها وإشعارها بأنها ذات قيمة قبل استحلال فرجها يقول تعالي ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء :٤] فهذا أمر بوجوب الصداق للزوجة . ولا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئاً إلا عن طيب نفس من الزوجة ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شيء مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ [النساء : ٣] .

والصداق حق خالص للزوجة ليس لأحد أن ينازعها فيه، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : " لما تزوج علي فاطمة قال له رسول الله ﷺ أعطها شيئاً (أي من الصداق) قال ما عندي شيء . قال : أين درعك الحطيمة ؟ فأصدقها إياه "

[أبو داود والنسائي]

والإسلام هو الدين الوحيد الذي أعطي للمرأة حق الصداق وحرية التصرف فيه .

والصداق رغم أنه حق مادي للزوجة إلا أنه يحقق شيئاً معنوياً آخر: فهو يطيب خاطرها ويعلي شأنها ويشعرها أنها ذات قيمة عند الرجل عندما تراه يبذل كل وسعه من أجل الوصول إليها.

وإذا كان الصداق حقاً خالصاً للمرأة وحدها فلا يجوز لأحد أن يفرض عليها أن تعد نفسها أو تشارك بجزء منه في إعداد بيت الزوجية فأجمع العلماء على أنه ليس علي

---

(١) فقه السنة .

المرأة شيء في إعداد بيت الزوجية لأن ذلك من اختصاص الرجل ما عدا مذهب الإمام مالك وهو المعمول به في قانون الأحوال الشخصية – والذي ينص علي أنه : " ليس على المرأة أن تشارك في إعداد بيت الزوجية إلا بما يتناسب وما تعجل لها من المهر " .

أما ما نراه اليوم من مظاهر بزخ تفرض علي البنت وعلى ولي أمرها من جهاز وغيره فذلك يجعل زواج البنت همّاً أكثر من زواج الولد .

فذلك كله مرده إلي التقاليد والأعراف التي لم ينص عليها الإسلام .

وأما ما يسمي بالمتعة فهناك من العلماء من يري استحقاق الزوجة لمؤخر صداقها لمجرد الدخول بها واستطاعة الزوج دفع ذلك المؤخر فإن لم يستطع يصبح مؤخر الصداق ديناً عليه لزوجته حال حياته فإذا مات أُخرج من تركته أولاً قبل التقسيم كسائر الديون المستحقة علي الميت .، هذا بخلاف نصيبها من تركته.

وعليه فيجب أن يتنبه الأزواج إلي ضرورة إعطاء الزوجة مؤخر صداقها أثناء حياته متى تيسر له ذلك وأثناء قيام الزوجية بينهما . بخلاف ما نراه اليوم فإن المؤخر لا يدفع عادةً إلا في حالة الطلاق فقط . وهذا خطأ شائع – هذا ما لم يتفقا قبل العقد علي تأجيل المهر إلي أحد الأجلين : إما الطلاق وإما الموت فإن اتفقا علي ذلك (فالمؤمنون عند شروطهم) .

ومن العلماء من قال : لا تستحق المرأة مؤخر الصداق – في هذا العصر – لأنها تستعيض عن ذلك بما يسمي بـ(قائمة المنقولات) والتي يسجل بها عادةً كل أثاث بيت الزوجية بالإضافة إلي ما يسمي بـ(الشبكة) وكذلك ما أعده الزوج من ماله الخاص وما أعدته الزوجة أيضاً فيصبح كل ذلك ملكاً لها بمجرد الطلاق ، ثم تضيف إلي ذلك مؤخر الصداق المنصوص عليه في وثيقة الزواج .، فمن الممكن أن نعتبر

كل ذلك مؤخر صداق بدليل إنها إذا لم تأخذ قائمة المنقولات عيناً فإنها تقدر قيمتها نقداً ويدفعه الزوج لها .

أما في حالة الطلاق قبل الدخول بها فإن حدد لها مهراً فلها نصف هذا المهر وإن تنازلت عنه أفضل لقوله تعالي ﴿وإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ولا تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٣٧] وإن لم يكن قد حدد لها مهراً فلها ما يسمي بالمتعة .

وعليه فإن مصطلح المتعة المتعارف عليه خاص بالمرأة المطلقة قبل الدخول والتي لم يفرض لها مهراً أصلاً لقوله تعالي ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ومَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى المُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٦] فتأخذ ما يسمي المتعة تعويضاً لها عما فاتها من المهر ، ونوعاً من التسريح الجميل بإحسان فقد أجمع العلماء علي أن المطلقة قبل الدخول ولم يحدد لها مهر ليس لها غير المتعة .

وأما تقدير المتعة فليس لها حد معين ولكن تقدر حسب حالة الزوج يسراً وعسراً لقوله تعالي ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ومَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى المُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ٢٣٦] (١) وتأمل قوله تعالي ﴿حَقّاً﴾ أي أن المتعة حق للزوجة وليس تفضل من الزوج وتأمل قوله ﴿عَلَى المُحْسِنِينَ﴾ في إشارة إلي وجوب الإحسان للزوجة في هذه الحالة التي أحسن وليها لك حينما لم يفرض عليك مهراً لها قبل الزواج فلابد أن يقابَل هذا الإحسان بإحسان منك ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن : ٦٠]

---

(1) فقه السنة – سيد سابق ج٢ – ص١١٢ ، ١١٣– الفتح للإعلام العربي .

وتأمل نفس الأمر في الآية التالية والتي يأمر فيها الله تعالي ولي الزوجة بالعفو عن نصف المهر في حالة ما إذا كان قد اتفقا علي مهر ﴿وإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ولا تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

انظر إلي عظمة الإسلام الذي يؤكد علي ضرورة الإحسان والعفو والتفضل خاصة في هذه الحالة – حالة الطلاق قبل الدخول – والذي يعتريها عادةً شد وجذب وتناحر وتربص كلٍ بالآخر فيأمرنا الإسلام بالتحلي بهذه الفضائل حتى يتم التسريح بإحسان وتبقي المودة حتى بعد الانفصال – فسبحان من هذا كلامه– .

٢– حق النفقة :

وهو توفير كل ما تحتاجه الزوجة من طعام وكساء ومسكن وخدمة ودواء. – وإن كانت غنية – .

والنفقة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع لقوله تعالى ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة :٢٣٣] وقوله تعالى ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق : ٢٦] ويقول المصطفي ﷺ " ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف " [رواه أبو داود] وعن معاوية القشيري قال : قلت يا رسول الله " ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال ﷺ أن تطعمها إذا طعمت وأن تكسوها إذا اكتسيت ،ولا تُقبِّح ،ولا تضرب الوجه ،ولا تهجر إلا في البيت "[رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد] ولقوله تعالي ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم ﴾ [النساء : ٢٤] .

والحكمة من النفقة هي :

أن الزوجة بمقتضي عقد الزواج الصحيح تصبح مقصورة علي زوجها لاستدامة الاستمتاع بها فيجب عليها طاعته والقرار في بيته وتدبير منزله وحضانة أطفاله وتربية أولاده فعليه نظير ذلك أن يقوم بكفايتها والإنفاق عليها – مادامت الزوجية قائمة بينهما ولم يوجد مانع يمنع من النفقة كنشوز وغيره – عملاً بالأصل العام الذي يقول : " كل من احتبس لحق غيره ومنفعته فنفقته علي من احتبس لأجله" . ولكن لابد أن نعلم أنه ليست كل زوجة تستحق النفقة لأن للنفقة شروط إذا تحققت استحقت المرأة بها النفقة وهى .

شروط استحقاق النفقة :

١) أن يكون عقد الزواج صحيحاً وإلا فلا تحق النفقة .

٢) أن تسلّم المرأة نفسها لزوجها .

٣) أن تمكّنه من الاستمتاع بها .

٤) ألا تمتنع من الانتقال معه حيث يريد ما لم يكن الانتقال بغرض الإضرار بالزوجة .

٥) أن يكون من أهل الاستمتاع .

٦) أن تكون معه في بيت الزوجية ، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ عقد على عائشة ودخل بها بعد عامين ولم ينفق عليها إلا من حين دخل عليها ولم يلتزم نفقتها بما مضي . ([1])

([1]) فقه السنة ج ٢ ص١٤٨ .

وإذا امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته أثِم يقول ﷺ " كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت " [أبو داود] . ومعني الحديث أنه يكفي الإنسان من الذنب ألا ينفق علي من يعولهم من زوجة وأولاد وغيره . وإذا حدث ذلك فإن الإسلام قد أباح للزوجة أن تأخذ من مال زوجها بدون علمه للإنفاق علي نفسها وأولاده بالمعروف، ذهبت هند بنت عتبه زوجة أبي سفيان إلي النبي ﷺ وقالت إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم قال ﷺ " خذي ما يكفيكِ وولدك بالمعروف " [رواه البخاري]

ومن عظمة الإسلام أن الله تعالي حين أوجب على الزوج أن ينفق على زوجته فإنه فى نفس الوقت يأجره علي ذلك ويجزل له الثواب علي هذه النفقة فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ " إذا أنفق المسلم علي أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة " [رواه البخاري] ويقول ﷺ " إنك مهما أنفقت علي أهلك من نفقة فإنك تؤجر حتى اللقمة ترفعها إلي فيّ امرأتك" [رواه أحمد] .

وتجدر هنا الاستفاضة قلقلاً في الكلام عن أنواع النفقة المستحقة للزوجة وكيفية تقديرها سواء حال الزوجية أو بعد الطلاق رجعياً كان أم بائناً وذلك كتالي :

تقدير النفقة :

اتفق العلماء علي أن تقدير النفقة يحكم بالعرف لقوله تعالي ﴿وعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلاَّ وسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٣٣] وقول النبي ﷺ "خذي ما يكفيكِ وولدك بالمعروف" [رواه البخاري] والمقصود بالمعروف : العدل أو هو المتعارف عليه في كل وقت وفي كل زمان أو المتعارف عليه في عرف الشرع دون إفراط أو تفريط .

فتقدر النفقة بقدر الكفاية مع مراعاة الظرف . وكذلك مراعاة حال الزوج يسراً وعسراً مهما كانت حالة الزوجة لقوله تعالي : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ومَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ [الطلاق : ٧] وهذا ما يجري العمل به الآن في المحاكم طبقاً للمادة (١٦) من القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩ .

هذا في حال قيام الزوجية بينهما بالفعل واستطاعة الرجل النفقة علي زوجته .

أما إذا كان الزوج غير مستطيع أو ممتنع عن النفقة عليها مع توافر شروط استحقاقها للنفقة – التي أشرنا إليها من قبل – فإن النفقة في هذه الحالة تعتبر ديناً مستحقاً للزوجة علي زوجها لا يسقط إلا بالأداء أو الإبراء .

حكم نفقة زوجة الغائب :

أما زوجة الغائب فنفقتها كما نص القانون (٢٥) لسنة ١٩٢٠ المادة رقم (٥) "إذا كان الزوج غائباً غيبة قريبة فإن كان له مال ظاهر نفّذ الحكم عليه في ماله ، وإن لم يكن له مالٌ ظاهر أعذر إليه القاضي بالطرق المعروفة وضرب له أجلاً – أمهله مدة معينة – فإن لم يرسل ما تنفق منه زوجته علي نفسها طلّق عليه القاضي بعد مضي أجله .

وإن كان بعيد الغيبة لا يسهل الوصول إليه أو كان مجهول المحل أو مفقود وثبت أنه لا مال له تنفق منه الزوجة طلّق عليه القاضي أي حكم القاضي بطلاقها" (١)

هذا عن النفقة حال قيام الزوجية بالفعل .

أما عن نفقة المطلقة فهي إما أن تكون مطلقة رجعية أو بائنة وإما أن تكون حاملاً أو غير حامل وتفصيل ذلك كتالي :

---

(1) سيد سابق " فقه السنة " مرجع سابق ج٢ ص ١٢٥ .

أنواع النفقة :

١- **نفقة المعتدة :** للمرأة المطلقة طلاقاً رجعياً والمطلقة الحامل أثناء العدة النفقة لقوله تعالي في الرجعيات ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وجْدِكُمْ﴾ [الطلاق : ٦] ولقوله تعالي في الحوامل ﴿وإن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق :٦] وهذه الآية تدل علي وجوب النفقة للمطلقة الحامل سواءُ أكانت رجعية أم بائناً أو كانت في عدة وفاة .

٢- **نفقة البائن :** أما المطلقة البائنة بينونة كبري : - وهي التي لا رجعة لها - إن لم تكن حاملاً فقد أختلف العلماء في وجوب النفقة لها علي ثلاثة أقوال :

أ- أن لها السكني فقط وهو قول الإمام مالك والشافعي واستدلاّ بقوله تعالي ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وجْدِكُمْ﴾ [الطلاق :٦] فقد نصت الآية في ظاهرها علي السكني فقط .

ب- أن لها النفقة والسكني وهو قول عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز والثوري والأحناف واستدلوا بعموم قوله تعالي ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق : ٦] فقالوا إن وجوب السكني يقتضي وجوب النفقة .

ج- أنه لا نفقة لها ولا سكني وهو قول الإمام أحمد ، و داود ، وأبي ثور ، وإسحاق، وحُكي عن علي بن أبي طالب ، وابن عباس والإمامية، وغيرهم. واستدلوا بما رواه البخاري ومسلم عن فاطمة بنت قيس قالت " طلقني زوجي ثلاثاً علي عهد رسول الله ﷺ فلم يجعل لي أي - رسول الله ﷺ- نفقة ولا سكني وفي رواية أخري قال ﷺ إنما السكني والنفقة لمن لزوجها عليها الرجعة وروي الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي أن رسول الله ﷺ قال لها : " لا نفقة لكي إلا أن تكوني حاملاً " (١) .

---

(١) سيد سابق " فقه السنة " ج٢ ص ١٢٥ .

هذا عن البائن إن لم تكن حاملاً فإذا كانت حاملاً فلها النفقة مدة العدة – مدة الحمل – إلي أن تضع فتسقط نفقتها بالوضع أما إذا كانت ستقوم بإرضاع المولود فلها أن تأخذ أجراً علي الرضاعة لأنه في حال امتناعها عن الرضاعة فإنه سوف يستأجر له مرضعة أخري بأجر فإذا كان سيعطي الأخري أجراً علي الرضاعة فأم المولود أولي بهذا الأجر إن أرضعته لقوله تعالي :

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾ [الطلاق : ٦] (١)

الحقوق الأدبية والمعنوية

وللمرأة حقوق أخري أدبية أو معنوية أولها وأهمها علي الإطلاق :

١ – حسن العشرة :

ويتحقق ذلك بإكرامها وحسن معاملتها بالمعروف وتقديم كل ما يمكن تقديمه إليها مما يؤلف قلبها فضلاً عن تحمل ما يصدر عنها والصبر عليه . وأصل ذلك كله قوله تعالى { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً } [النساء :١٩] وليعلم الزوج أن حسن معاملته لزوجته دليلٌ على حسن خلقه واكتمال إيمانه يقول المصطفي ﷺ " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . وخياركم خياركم لنسائهم) [الترمذي] وكما أن إكرام المرأة دليل الإيمان الصادق فهو أيضاً دليل اكتمال الشخصية السوية وإهانتهن دليل الخسة والندالة يقول المصطفي ﷺ " ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم " [رواه الترمذي].

وحسن العشرة له علامات ومظاهر وهى :

---

(١) نفسه ص ١١٥ وما بعدها .

مظاهر حسن العشرة

١- التلطف مع الزوجة ومداعبتها :

فيجب على الزوج أن يداعب زوجته ويلاطفها . وليعلم أن ذلك لا ينقص من رجولته شيئاً بل إن ذلك دليل رجولته . لأن الرجولة ليس معناها أن تكون جاداً في كل شيء بل يجب أن تكون مرناً ومرحاً في بعض الأمور يقول ﷺ " ألا أدلكم علي من يَحْرم علي النار أو تَحْرم عليه النار . قالوا : بلي يا رسول الله . قال : كل هينٍ لينٍ سهل " [رواه أحمد] .

والمسلم إذ يلاطف أهله ويداعبهم ويلين لهم جانباً فهو مقتدٍ في ذلك بخير الخلق وأكمل البشر خَلقاً وخُلُقاً فقد كان ﷺ يتلطف مع أهله ويلعب معهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت " سابقني رسول الله ﷺ فسبقته . فلبثنا حتى أرهقني اللحم . فسابقني فسبقنى فقال : هذه بتلك" [حديث صحيح رواه ابن ماجه وأحمد] .

- انظر إلى روح الدعابة بين النبي وزوجته وقالﷺ " كل شيء يلهو به المسلم فهو باطل إلا ثلاثاً : رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله . فإنهن من الحق" [رواه الترمذي] .

والمداعبة والملاطفة إنما تضفي علي البيت جواً من الراحة النفسية وتشبع جانباً مهماً في شخصية الزوج والزوجة على السواء فمهما كان منصبك فأنت محتاج للحظات تنسي فيها منصبك وجاهك وسلطانك وتعيش على طبيعتك تلهو أحياناً . أما أن تظل طوال الوقت سجين منصبك أو سلطانك فإن ذلك يعود بالسلب علي نفسيتك وقد يحدث لك عقداً نفسياً أنت قد لا تشعر بها .

*** للملاطفة والدلال صور مختلفة منها :**

أ- **نداؤها بأحب الأسماء إليها** ويكون إما بتصغير اسمها للتلميح أو ترخيمه – يعني تسهيله وتليينه – فقد كان النبي ﷺ يقول لعائشة : " يا عائش هذا جبريل يقرؤك

السلام" [رواه البخاري عن عائشة] وكان يقول لعائشة أيضاً يا حميراء ، قال ابن الأثير في النهاية : والحميراء تصغير حمراء يراد بها البيضاء وقال الذهبي : الحمراء في لسان أهل الحجاز هي البيضاء بشقرة . وهذا نادر فيهم .

إذن لقد كان النبي ﷺ يلاطف عائشة وينياديها بتلك الأسماء مصغرة ومرخمة . وأخرج مسلم من حديث عائشة في الصيام قالت : " كان رسول الله ﷺ يقبل إحدى نسائه وهو صائم ثم تضحك رضي الله تعالي عنها " أي تعني أنه كان يقبلها . وعن عائشة قالت : " هوى النبي ﷺ ليقبلني فقلت : إني صائمة ، فقال ﷺ : وأنا صائم " [حديث صحيح رواه أحمد] .

وأيضاً أنها قالت : " كان الرسول ﷺ يظل صائماً فيقبل ما شاء من وجهي " .

ومن حديث عائشة أيضاً أنها قالت : قال رسول الله ﷺ " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله" [حديث حسن رواه الترمذي] .

ومن خلال هذه الأحاديث يتبين لنا ملاطفة النبي ﷺ لأزواجه وحسن التعامل معهن .

فائـدة : ولهذا أجاز بعض العلماء القبلة أثناء الصيام إن لم تحرك شهوة وإلا فتحرم لحديث عائشة " كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ولرسول الله ﷺ أملككم لإربه" [رواه البخاري] أي أكثركم تحكماً في نفسه .

ومن صور المداعبة والملاطفة أيضاً :

ب. إطعامها الطعام بيدك ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال ثم ذكر الحديث إلي قوله : " وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلي فيّ امرأتك" [متفق عليه] أي حتى اللقمة التي ترفعها بيدك إلي فم امرأتك ليس فقط كسباً للقلب ، ولا حسن تعامل مع الزوجة بل هي صدقة تؤجر بها من الله عز وجل .

وذكر النووي في هذا الحديث : أن وضع اللقمة في فم الزوجة يقع غالباً في حال المداعبة ولشهوة النفس في ذلك مدخل ظاهر ومع ذلك إذا وجه القصد في تلك الحالة إلي ابتغاء الثواب حصل له بفضل الله .

إذن فمن صور المداعبة والملاطفة للزوجة إطعامها الطعام بيدك . وكم لذلك من أثر نفسي علي الزوجة .

وأنا أسألك أيها الرجل ماذا يكلفك مثل هذا العمل ؟ لا شيء . إلا حسن التأسي والاقتداء بالنبي ﷺ وطلب المثوبة وحسن التعامل وهناء النفس فالملاطفة والدلال والملاعبة أنت مأمور بها شرعاً لما تفضي إليه من جمع القلوب . ونعود إلي مظاهر حسن العشرة .

٢- ومن حسن العشرة أيضاً أن يكرمها ويرفعها إلي مستواه:

بأن يتجنب أذاها حتى ولو بالكلمة النابية وليعلم أنها مخلوق لا يقل عنه في الدرجة . يقول النبي ﷺ " النساء شقائق الرجال " [رواه أبو داود] وذهب معاوية القشيري إلي رسول الله ﷺ وسأله " ما حق زوجة أحدنا عليه قال ﷺ : أن تطعمها إذا طعمت وأن تكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تُقبّح ولا تهجر إلا في البيت" [رواه أبو داود] وليعلم الزوج أن المرأة مخلوق لا يتصور فيه الكمال يقول ﷺ " استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج وأن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج " [صحيح البخاري] .

وفي هذا الحديث إشارة إلي أن في المرأة عوجاً طبيعيا وأن محاولة إصلاحه غير ممكنة وإنه كالضلع المتقوس لا يقبل التقويم فعلي الإنسان أن يتقبلها علي ما هي عليه ويصاحبها بالمعروف .

ولكن ذلك كله لا يمنع من تأديبها وإرشادها إلي الصواب إذا اعوجَّت ويكون ذلك بالرفق واللين فإنه من أنجح الوسائل في التربية والتوجيه يقول المصطفي ﷺ " ما كان

الرفق في شيء إلي زانه وما نُزع من شيء إلا شانه" [رواه مسلم] بل إنني لأرى عوج المرأة في معظم الأحيان أنوثة تُشبع رجولة الرجل .

ولن يشعر الرجل برجولته إلا في ظل أنوثة المرأة لأن الحكمة تقول " بضدها تُتَبين الأشياء " وعليه فإن الزوج إذا علم ما يحدثه عوج المرأة فيه من تأثير إيجابي هو يحتاج إليه فإنه يري هذا العوج بعد ذلك نعمة لا نقمة وميزة في الزوجة وليس عيباً فيها . ومن مظاهر حسن العشرة أيضاً .

٣- **التغافل عن بعض زلاّتها والنظر إلي فضائلها :**

فإن بعض الأزواج إذا رأي خُلُقا يكرهه من زوجته يترسخ في ذهنه هذا الخلق السئ فقط ولا يتذكر بعض محاسنها التي قد تكون أكثر من عيوبها لذلك ينصحنا رسول الله ﷺ بوجوب الموازنة بين حسناتها وسيئاتها وإنه إذا رأي منها شيئاً يغضبه فإن فيها أيضاً ما يحبه يقول ﷺ " لا يفْرُك (يكره) مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقاً رضي بآخر" [رواه مسلم] ويقول الله تعالي ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ [النساء : ١٩] وماذا يكون خيراً من الولد الذي تقر به عينك ويحمل اسمك ؟

ويجب التلطف معها إذا غضبت فعن عائشة رضي الله عنها قالت " كان النبي ﷺ يقول لها إني لأعلم متى تكوني عليّ غضبي ؟ ومتى تكوني راضية ؟ فقالت : وكيف عرفت ؟ قال : إذا كنتِ عني راضية قلتِ : لا ورب محمد ، وإذا كنتِ غضبي قلتِ : لا ورب إبراهيم ، قالتْ : صدقت يا رسول الله ، واللهِ ما أهجر إلا اسمك" [رواه مسلم]

انظر إلى هذا التلطف الجميل ساعة الغضب وما ينطوي عليه من حب وحسن عشرة ، وعمق في فهم الزوج لشخصية زوجته .

أما التغافل عن زلاتها : فيكون بالتجاوز عن بعض الأخطاء في الحياة الزوجية وغض البصر عنها خاصة إذا كانت في الأمور الدنيوية .

وأقول : لا تنس أيها الزوج الحبيب أنك تتعامل مع بشر و" كل بني آدم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون" ولا تنس أنك تتعامل مع امرأة وكما قال النبي ﷺ " خلقن من ضلع أعوج " .

لا تكن شديد الملاحظة ، ولا مرهف الحس فتجزع عند كل ملاحظة أو خطأ انظر لنفسك دائماً ، فأنت أيضاً تخطئ .

ولا تنس أن المرأة كثيرة الأعمال في البيت مع الأولاد ، والطعام والنظافة ، والملابس ، وغيرها ، ولا شك أن مع كثرة الأعمال وتعددها وتنوعها تكثر الأخطاء .

ولا تنس أن المرأة شديدة الغيرة سريعة التأثر فاحسب لكل هذه الأمور حسابها واسمع لهذه الأمثلة التي تدل على الحلم والإنصاف :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا يَعْنِي أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَّزِرَةً بِكِسَاءٍ وَمَعَهَا فِهْرٌ (أي حجر ناعم صلب) فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فِلْقَتَيْ الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ (لأصحابه) : كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ " [البخاري والنسائي واللفظ له] فأقول : انظر لحسن خلقه ﷺ وإنصافه وحلمه وانظر لحسن تصرفه في هذا الموقف بطريقة مقنعة معللاً لهذا الخطأ من عائشة رضي الله عنها بقوله : (غارت أمكم ،غارت أمكم) فهو يقدر نفسية عائشة اعتذاراً منه ﷺ لها ولم يحمّل عائشة نتيجة هذا الخطأ ولم يذمها ﷺ لأن أم سلمة هي التي جاءت إلي بيت عائشة تقدم للنبي ﷺ وأصحابه هذا الطعام، ولذلك قدّر النبي ﷺ هذا الموقف وتعامل معه بلطف وحكمة صلوات الله وسلامه عليه . وقدّر ما يجري عادة بين الضرائر من الغيرة ، ومعرفته ﷺ أن الغيرة مركبة في نفس المرأة فلم يعنِّف النبي ﷺ عائشة وبيّن أنها غارت مع أنها كسرت الإناء ومع أنها أيضاً تصرفت أمام أصحابه هذا التصرف – الذي قد يستفز أكثر الرجال – ولكن رسول الله ﷺ تعامل

معه بحكمة . حقاً صدق من قال فيك : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] فانظر للحكمة وانظر لحسن التعامل وتخيل لو أن هذا الموقف حدث معك كيف سيكون حالك أيها الزوج ؟ وكيف ستكون نفسيتك ؟ وماذا سيكون تصرفك ؟

إذن فالعفو والصفح إذا قصّرت الزوجة . وشكرها والثناء عليها إن أحسنت . من شيم الكرام ومن محاسن الأخلاق .

وبعض الأزواج قد يختلق المشاكل وينفخ فيها وقد تنتهي هذه المشاكل بحقيقة مرة. وهي الطلاق !! واسمع لهذا الموقف : روي أن رجلاً جاء إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ليشكو سوء خلق زوجته فوقف علي بابه ينتظر خروجه فسمع هذا الرجل امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين . فكيف يكون حالي ؟

وخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك أيها الرجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! جئت أشكو إليك سوء خلق زوجتي واستطالتها عليّ فسمعت زوجتك كذلك فقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف يكون حالي؟ فرجعتُ . قال عمر : يا أخي إني أحتملها لحقوق لها عليّ : إنها لطبّاخة لطعامي ، خبّازة لخبزي ، غسّالة لثيابي ، مرضعة لولدي . وليس ذلك كله بواجب عليها . ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا احتملها لذلك فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي . قال عمر : فاحتملها يا أخي ! فإنما هي مدة يسيرة يقول الله : ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ [النساء : ١٩] .

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ وهكذا كانت حياتهم الزوجية : ذكرٌ للحسنات ، وغضٌ للبصر عن الأخطاء والسيئات .

ويقال : إن بدوية جلست تحادث زوجها وتطرق الحديث إلي المستقبل كعادة الأزواج، فقالت : إنها ستجمع صُوفاً وتغزله وتبيعه وتشتري به بِكْراً[1] قال زوجها : إذا اشتريتيه فسأكون أنا الذي أركبه ، قالت : لا . فألحّ زوجها ، فرفضت . فأصر ولم ترجع . هي حتى غضب زوجها فطلقها .

فلم توجد هناك مشكلة أصلاً ؛ القضية قضية أماني في المستقبل تقول : لو كان عندي صوف وأغزله ثم أبيعه ثم أشتري بكراً فتخاصما على من يركبه أولاً فحصل الطلاق .

هذا المثل يوضح حقيقة الحال في كثيرٍ من حالات الطلاق التي تحصل بين الرجل والمرأة لأسباب تافهة . وعندما يقف أهل الخير أو القضاة أو غيرهم علي بعض أسباب الطلاق يجدون أن أسباب الطلاق تافهة لا تذكر وهكذا كثير من المشكلات وهمية تافهة ، تنتهي بنهاية الحياة الزوجية للأسف !

وانظر إلى هذا المثال الرائع يروي أن عائشة قالت مرة للنبي ﷺ وقد غضبت : "أنت الذي تزعم أنك نبي ؟ فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلماً وكرماً " . فما أروع هذا التوجيه النبوي الحكيم الذي يجعل البيت جنةً . فإذا غضب أحد الزوجين وجب علي الآخر الحلم .

فحال الغضبان كحال السكران لا يدري ما يقول وما يفعل .

٤- بسط الوجه والبِشْر في وجهها :

فقد كان رسول الله ﷺ بسّاماً ضحّاكاً خاصة مع أهله فكانت عائشة رضي الله عنها حينما تعمل عملاً من شيم الصغار كان يضحك في وجهها ويناديها بـ (يا عويش) بالتصغير وللتصغير هنا دلالة بلاغية تُنبئ عن حسن تقدير النبي ﷺ لسنها.

([1]) حيوان للركوب

ليس هذا فقط فقد كان رسول الله ﷺ يدخل عليها وعندها البنات الصغار يلعبن معها فلم ينهرها يوماً عن ذلك أو حتى يبدي لها أي ضجر أو عبوس في وجهها أبداً .

٥- **وعليه أيضاً أن يختار الكلمة الطيبة حتى ولو كذباً :**

حتى وإن كانت في غير موضعها فهذه من الأمور المباح فيها الكذب لأنه لا يترتب عليه ضرر – ولعل من حكمة تحريم الكذب هو ما يترتب عليه من أضرار بل سيرفع من روحها المعنوية يقول النبى ﷺ " الكلمة الطيبة صدقة " ومن أحق بهذه الصدقة من الزوجة ؟

فلنعوِّد ألسنتنا علي طيب الكلام ولنعوِّد عضلات وجهنا على الابتسامة التي تُبسّط أكثر المسائل تعقيداً .

وإذا أردت أن تعرف ماذا يفعل العبوس فانظر إلي وجهك في المرآة ساعة الغضب.
ومن حسن العشرة أيضاً :

٦- **الشكر لها علي ما تؤديه :**

من خدمة جليلة لك ولأولادك وهذا من شأنه ألا يجعلها تشعر أنها مجرد خادمة ولعل في موقف الرجل الذي ذهب إلي عمر بن الخطاب ليشكو إليه سوء معاملة زوجته له وقبل أن يطرق الباب سمع زوجة عمر تُعلي صوتها وكأن بينهما شجار فرجع الرجل ولم يطرق الباب فخرج عمر فوجده فقال له : فيم جئت يا رجل؟ قال : جئتك يا أمير المؤمنين أشكو إليك سوء معاملة زوجتي فوجدتك تشكو مما أشكو منه فقال عمر للرجل : أيها الرجل إنها طبّاخة لطعامي ، غسّالة لثيابي ، ومربّية لأولادي ... إلخ.

انظر إلي رد سيدنا عمر " رضى الله عنه" على الرغم من سوء معاملة زوجته له آنذاك إلا أن ذلك لم يحمله علي قول أي كلمة نابية تعبر عن ضجره مما صنعت

زوجته . بل إنه في هذا التوقيت بالذات يتذكر حسناتها ولم يذكر سيئاتها مع أنها الأقرب حدوثاً . وهذا عمر بن الخطاب الذي عُرف عنه الشدة والقوة .

٧- **أن يُسرِّي عنها إذا غضبت :**

ويهدأ من روعها ويدعو لها فقد كان رسول الله ﷺ إذا رأي الغضب من عائشة واحمرّ وجهها . كان يقول لها : لقد جاءك شيطانك فتقول: أو لي شيطان؟ قال : ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل له قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالت : وإياك يا رسول الله قال: وإياي . إلا أن الله قد أعانني عليه فأسلم فأصبح لا يأمرني إلا بخير. [رواه مسلم]

٨- **مساعدتها في بعض أعمال البيت:**

وذلك إما من باب التواضع لها .

وإما من باب إشعارها بالمشاركة الوجدانية .

وإما وجوباً إذا احتاجت المرأة لذلك لتعب أو مرض أو غير ذلك فالزوجة بشر قد تتعب أو تمرض .

وأنت حينما تساعد زوجتك اعلم أن ذلك لا يقلل من رجولتك بل إن ذلك من كمال الرجولة وقدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن حال رسول الله ﷺ في بيته قالت : " كان رسول الله ﷺ في مهنة أهله : فكان يغلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقّع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويخدم نفسه ، ويقُم البيت " [رواه البخاري] .

فالزوجة في البيت ليست هَمْلاً أو متاعاً بل هي إنسان كالرجل تشاركه أفراحه وأحزانه فعليه أن يقف بجوارها ويعينها .

واسمع لهذه الزوجة التي تمدح زوجها وتثني علي دوره في حياتها فتقول : "زوجي لِما عناني كافٍ ، ولِما أسقمني شافٍ ، عرقه كالمسك ، لا يمل طول العهد، إذا غضبت لطف ، وإذا مرضت عطف ، أنيسي حين أُفرد ، صفوحاً حين أحقد، يدخل الدار بسّاماً ويخرج ضحاكا ، ما غضب علي مرة وما حقد ، يأكل ما وجد ، ويدرك ما قصد ، ويفي بما وعد ، ولا يأس علي ما فقد ، أديب ، أريب ، حسيب ، نسيب ، كسوب ، حجول ، لا كسول ولا ملول ، إذا طلبت أعطاني ، وإذا سكت ابتداني ، وإذا رأي مني خيراً ذكر ونشر ، وإذا رأي تقصيراً ستر وغفر" . فهنيئاً لهذه الزوجة بزوجها

٩- الاعتدال في الغيرة :

فلابد أن يشعرها بأنه يغار عليها لأن ذلك يشبع رغبة عند الأنثى ويشعرها بأنوثتها كما يجب أن تشعره برجولته .

ولكن يجب ألا يبالغ في الغيرة وألا يتعدي حدود الاعتدال إلي الشك لأن رسول الله ﷺ نهي عن ذلك فقال ﷺ " لا يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يتلمس عثراتهم "

[رواه مسلم]

وقال علي بن أبي طالب : " لا تكثر الغيرة علي أهلك فترامى بالسوء من أجلك" وقال الحسن بن على: " أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق؟ قبّح الله من لا يغار" .

١٠- المحافظة علي العلاقة الطيبة بأهلها_:

فاحرص أيها الزوج علي العلاقة الطيبة بينك وبين أهل زوجتك وإكرامهم لأن في ذلك جبراً لخاطرها وإعلاءً لشأنها .

فلتكن مكانتهم عندك من مكانتها ولأن ذلك يجعلها تعطيك بغير حدود لأن تقديرك لأهلها مما يسعد قلبها .

فلتجعل أمها أماً لك . وأباها أباً لك وهكذا مع باقي أهلها وذويها .

ولتعلم أن من أهداف الزواج تحقيق الترابط والتعارف والود بين العائلات .

وكذلك يجب أن يأذن لها في زيارتهم ما لم يتعارض ذلك مع متطلبات بيتها وسعادة زوجها وألا يكون في زيارتها لهم ما يضر بحياتها الزوجية ويهدد استقرارها واستمرارها ،. كما يحدث من بعض الأسر التي تُحرِّض الزوجة علي زوجها بحجة أنه لابد أن يكون لها شخصية مع زوجها إلي غير ذلك .

فإذا شعر الزوج بأن – زيارة زوجته بأهلها ستضر بالحياة بينهما – فله منعها من زيارتهم لأن استمرار الحياة بينهما أولى من صلتها لأهلها وعليه أن يكون حصيفاً في ذلك فلا يمنعها مطلقاً ولا يتركها مطلقاً وذلك بأن يباعد بين كل زيارتين أو أن يصحبها في الزيارة وألا يجعلها تنفرد بهم وقتاً طويلاً .

١١ – إجلالها وإكبارها أمام أبنائها :

فلابد أن يحرص علي احترامها وتقديرها أمام أولادها وذلك :

بألا يُعلى صوته عليها . أو يوجه لها نقداً لاذعاً أمامهم . حتى وإن كانت مخطئة. لأن مجرد توجيهها أمام أبنائها يشعرها بحرج بالغ ويقلل من مكانتها عندهم فتهون عندهم أحياناً .

واعلم أن إهانتك لها أمام الأبناء تعطي الأبناء الفرصة لإهانتها في عدم وجودك اقتداءً بك ، فكثيراً ما يصنع الأزواج ذلك بل وأكثر من ذلك يجد ابنه يهين أمه أمام عينه فلا ينهره ولا يردعه بل وقد يشعر بالسعادة إذا رأي ذلك – خاصة إذا كان علي خلاف معها –

كل ذلك يقلل من احترام الأبناء لأمهم وأنت تحتاج إلي من يكون مكانك عند غيابك .

فلتجعل مكانتها عندهم كمكانتك عندهم سواءً بسواء .

١٢- مداراة الزوجة :

وتكون بمجاملتها واحتوائها وعدم التضيق عليها والاعتذار إليها فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال " جاء أبو بكر يستأذن علي النبي ﷺ فسمع عائشة وهي رافعة صوتها علي النبي ﷺ فأذن رسول الله ﷺ لأبي بكر بالدخول فقال أبو بكر: يا بنت أم رَومان أترفعين صوتك علي رسول الله ﷺ ؟ قال: فحال النبي ﷺ بينهما أي جعلها خلفه يريد أن يُخلِّصها من أبيها. فلما خرج أبو بكر جعل النبي ﷺ يترضّاها ويقول : ألا ترين أني حُلْتُ بين الرجل وبينك ؟ قال : ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه فوجده يضاحكها فقال أبو بكر أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما "

[أبو داود]

انظر إلي مداراته ﷺ لزوجه وتواضعه معها واعتذاره إليها فكان هو البادئ بالصلح رغم أنها كانت مخطئة .

فعليك أيها الزوج أن تكسر حاجز المعاندة والمكابرة وإن فعلت ذلك. فإنك تعوّد زوجتك أيضاً علي سرعة المبادرة إلي ترضيتك والاعتذار لك .

ولا تتصور أن اعتذارك لها وابتداءك أنت بالصلح سيجعلها تستهين بك فهذا فهم خاطئ يقول تعالي : ﴿ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت : ٣٤] . فما نتيجة ذلك ﴿فَإِذَا الَذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ ولِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[فصلت : ٣٤] إذا كان هذا هو الحال مع العدو فما بالك بالزوجة وهي ليست عدواً لك بل هي أقرب الناس إليك . هذه بعض مظاهر حسن العشرة وهى الحق الأول للزوجة أما باقي الحقوق فهي كالتالي :

ثانياً : من حقوق الزوجة : تعليمها أمور دينها :

فيجب علي الرجل أن يعلم زوجته من أمور الدين ما تصلح به عبادتها حتى تُقبل العبادة فيرضي عنها الله تعالى فيدخلها الجنة ، ويبعدها عن النار يقول تعالي ﴿ يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] قال المفسرون : علموهم من أمور دينهم ما يرضي ربهم ويبعدهم عن النار . يقول الإمام أبو حامد الغزالي : " وعلي الرجل أن يعلم زوجته أحكام العبادات وما يقضي منها في الحيض وما لا يقضي لأنه أُمِرَ أن يقيها من النار فعليه أن يعلمها من أحكام الحيض والاستخاضة وكل ما تحتاج إليه " (١) فعليه أن يتعلم ذلك أولا ثم يُعلّم زوجته وإن لم يستطع فليتركها تحضر مجالس العلم في المساجد والأماكن المصرح فيها بتعلم أمور الدين الوسط البعيد عن الغلو والتطرف مثل بعض التيارات والجماعات الإسلامية المختلفة الموجودة الآن على الساحة بل تحرص علي تعلم الدين الحنيف دون إفراط أو تفريط والطريق الوحيد لذلك هو العلماء المتخصصون الذين لا ينتمون إلى أي تيار متطرف أو جماعة من الجماعات الإسلامية لأن الإسلام دعا المسلمين جميعاً أن يكونوا جماعة واحدة ونهاهم عن التحزب والتفرق كل حزبٍ بما لديهم فرحون .

وفى وجوب تعلم النساء في المساجد لا في أماكن أخرى يقول المصطفى ﷺ " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله " [متفق عليه] . وعليه أن يخوفها من التقصير في حق الله من أداء الفرائض كما أمر الله ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه : ١٣٢] ويجب التعاون فيما بينهما علي العبادة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ " من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات " [رواه أبو داود والحاكم] ويقول المصطفي ﷺ : " رحم الله رجلاً قام من الليل فتوضأ وأيقظ أهله فإن أبوا نضح في وجههم الماء ورحم الله امرأةً قامت من الليل فتوضأت وأيقظت زوجها فإن أبي نضحت في وجهه الماء " [أبو داود عن أبي هريرة] .

---

(1) أبو حامد الغزالي " إحياء علوم الدين" ج٢ ،ص ٤٩ .

وليحرص كل منا أن يجعل جزءاً من صلاته النافلة في بيته قال ﷺ " إن أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة " [متفق عليه] أي المفروضة وهي الخمس أما النوافل فيسن أداء بعضها في البيت ليذكّر أهل البيت ويشجّعهم ويربّي أولاده علي هذه الأفعال .

فما أجمل البيت الذي يجتمع أهله علي طاعة الله مثل: صيام تطوع ، أو قراءة قرآن ، أو حضور مجلس علم ، أو التصدق علي الفقراء أو غير ذلك من العبادات التي لو تعاون الزوجان علي أدائها لكان ذلك عماد السعادة الزوجية وروحها يقول تعالي ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٩٧]

ثالثاً : إعفافها وتحصينها وإشباع رغبتها الجنسية :

فمن حق الزوجة علي زوجها أن يُشْبع رغبتها الجنسية لأن ذلك فطرة فى كل بني آدم ، ولأن المرأة نظراً لحيائها قد لا تستطيع أن تفصح عن رغبتها فى ذلك إذا احتاجت إليه – عكس الرجل –

ومن هنا يجب علي الرجل أن يعلم أن حاجتها إلي ذلك لا تقل عن حاجته هو أيضاً ، وأن إشباع الغريزة الجنسية هدف من أهداف الزواج يقول ابن حزم " وفرض علي الرجل أن يجامع زوجته . وأدني ذلك في كل طهرٍ مرة إن قدر علي ذلك وإلا فهو عاصٍ لله تعالي " ودليله في ذلك قوله تعالي ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة :٢٢٢] وعليه جمهور العلماء .

ومنهم من قال : يجب كل أربعة أيام قياساً علي أن الرجل يحل له الزواج من أربعة نسوة .

وقيل في الطهرِ مرة ومن العلماء من جعل حداً أقصي لها بأربعة أو ستة أشهر إما قياساً علي الإيلاء وهو : الحلف علي عدم وطء الزوجة مدة تزيد عن أربعة أشهر

يقول تعالي ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة :٢٢٦، ٢٢٧] وإما قياساً على قول سيدنا عمر حينما كان يمر في المدينة فسمع امرأةً تقول :

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه *** وطال عليّ ألا خليلاً ألاعبه
والله لولا خشـــية الله وحـــده *** لحُرِّك من هذا السرير جوانبه
لكن ربي والحـــياء يمنعني *** وأُكرم بعلي أن توطأ مراكبه

ففهم سيدنا عمر أنها تشكو غياب زوجها عنها واحتياجها إليه فأرسل إلي زوجها وكان قد خرج للجهاد وأمر أن يعود إليها ثم سأل ابنته حفصة : كم تصبر المرأة علي غياب زوجها ؟ قالت : سبحان الله مثلك يسأل مثلي عن هذا ؟ ثم قالت خمسة أو ستة أشهر . فوقّت للناس في مغازيهم ستة أشهر.

وعلى هذا ينبغي أن يحرص الزوج علي إشباع رغبة زوجته قدر استطاعته يزيد في ذلك أو ينقص حسب حاجتها للتحصين فإن تحصينها واجب عليه ولا يجوز له أن ينشغل بأي شيء عن ذلك حتى ولو بالتقرب إلي الله بأداء بعض النوافل لقول النبي ﷺ لعثمان بن مظعون حينما سمع بكثرة صيامه وقيامه إلي الحد الذي ترك فيه تحصين زوجته فقال له " إن لربك عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وفي رواية لأهلك عليك حقاً . فأعط كل ذي حقٍ حقه " [رواه أحمد والترمذي] . ومن عظمة الإسلام أن الله حينما أمر الزوج أن يحصن زوجته ويشبع حاجتها الجنسية فإنه في نفس الوقت يثيبه علي ذلك يقول المصطفي ﷺ " وفي بُضع أحدكم صدقة فقالوا يا رسول الله ﷺ : أيأتي أحدنا أهله ويكون له أجر ؟ قال : نعم أرأيتم لو وضعها في حرام أيكون عليه وزر؟ قالوا : نعم . قال فكذلك لو وضعها في حلال يكون له أجر " [رواه مسلم] وبذلك يثبت أن جماع الرجل لزوجته من الصدقات التي يثيبه الله عليها .

وإذا كان تحصين المرأة بالجماع واجب علي الزوج بالإضافة إلي أنه يأخذ عليه أجر من الله فحتى يتحقق الغرض من الجماع ، ويثبت له الأجر فيجب أن آداب الجماع .

آداب الجماع

١- **أن يقصد بهذا الجماع إعفاف نفسه وزوجته عن الحرام** فكل عمل مقرون بالنية يقول ﷺ " إنما الأعمال بالنيات" [البخاري عن عمر] فلتجعل هذه نيتك .

٢- **مقدمات الجماع :** فيجب علي المسلم أن يقدم لنفسه قُبيل الجماع من المداعبة والملاعبة والملاطفة وقد أشار القرآن الكريم إلي هذه المقدمات التي يجب أن تسبق الجماع في قوله تعالي ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٢٣] فقوله ﴿وقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم﴾ إشارة إلي ما يجب أن يبدأ به الزوج قبل الجماع من مقدمات تشمل المداعبة والملاطفة فإن ذلك يجعل للجماع متعة بالإضافة إلى أنه يُهيئ الزوجة ويُعِدّها ويستثير غرائزها ويستحضر قواها الجنسية مما يجعل إقبالها علي الزوج أشد وأقوي وهذا ما يحتاجه الرجل .

فكثيرٌ من الأزواج في هذا الزمان يشكون مر الشكوي من قلة إقبال المرأة عليه وضعف رغبتها الجنسية فيتهمها ظلماً بما يسمي " بالبرود الجنسي " والذي قد يكون سبباً في أغلب حالات الطلاق أو الرغبة في الزواج الثاني في عصرنا الحاضر .

والحقيقة أن ذلك قد يكون راجعاً إلي عدم تهيئة الزوج للزوجة قبيل الجماع عن طريق هذه المقدمات والتي قد تبدأ بمجرد دخوله إلي بيته وتعالوا نتعلم من معلم البشرية ﷺ كيف كان يقدم لذلك بمجرد دخوله البيت . سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها " بأي شيء كان يبدأ رسول الله ﷺ إذا دخل بيته ؟ قالت : كان يبدأ بالسواك" [رواه مسلم] قال بعض أهل العلم : لعله كان يفعل ذلك لأنه كان يبدأ زوجاته بالتقبيل فيحرص علي أن تكون رائحة فمه طيبة .

وقد أشار رسول الله ﷺ إلي هذه المقدمات وأهميتها قبل الجماع حينما قال : " لا يأتي أحدكم أهله كالبهيم . وليكن بينهما رسول . قالوا وما الرسول يا رسول الله ﷺ : قال : القبلة والكلام " [رواه البخاري] وقد أشار ﷺ إلي الملاعبة بقوله لسيدنا جابر حينما أراد الزواج من ثيب فقال له " هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك " [متفق عليه]

وقد أثبت علماء النفس الحديث أهمية هذه المقدمات وأثرها في استثارة المرأة جنسياً وإشعارها بأنوثتها وتزيد من شدة إقبالها على الرجل ولا يتحقق ذلك إلا حينما تشعر بشدة إقبال الرجل عليها ورغبته فيها وذلك عن طريق هذه المقدمات .

في هذه الحالة تشعر المرأة بالرغبة في الجماع وإن لم تكن تفكر أو ترغب فيه قبل ذلك ، هذا بالإضافة إلى أن العلم الحديث قد أثبت أن هذه المقدمات تؤدي إلي إفراز بعض السوائل من رحم المرأة قبيل الجماع مما يسهل عملية الجماع هذه الإفرازات . تشبه تماماً الإفرازات التي تنزل من رحم المرأة قبيل الولادة لتسهل عملية الولادة (فسبحان الله) .

٤- التستر عند الجماع :

فيجب ستر العورة في كل وقت إلا عند الجماع ولكن لا يستحب التعري تماماً عند الجماع فعن عتبة بن عبد السليمي قال ، قال ﷺ " إذا أتي أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردا تجرد العَيّرين (الحمارين) " [رواه ابن ماجه] ، وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال " إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط . وحين يفضي الرجل إلي أهله فاستحيوهم وأكرموهم (يقصد : الحفظة من الملائكة) " [رواه الترمذي] .

٥- التسمية والاستعاذة :

فيستحب للزوج أن يسمي الله ويستعيذ به من الشيطان الرجيم عند الجماع قال ﷺ " لو أن أحدكم إذا أتي أهله قال : بسم الله اللهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما

رزقتنا . فإن قُدّر بينهما في ذلك ولد . لن يضر ذلك الولد الشيطان أبداً " [رواه البخاري عن عبد الله بن عباس] .

٦- حرمة التكلم بما يجري بين الزوجين عند الجماع :

فيحرم علي كلا الزوجين أن يتحدث مع أحد عن شيء مما حدث بينهما أثناء الجماع.. وهذا خطأ شائع ومتفشي في بعض أوساط الفضوليين والثرثاريين فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال " إن من شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يُفضي إلي زوجته وتُفضي إليه ثم يصبحا فينشرا سرهما " [رواه مسلم] .

فكثيٌر من الناس يحلو لهم الحديث في هذا مع أصدقائهم المقربين غيَر عالمين بحرمة ذلك وغير مبالين بخطورة ذلك من كشف عورة امرأته وصفاً أمام الأجانب . فإن من يفعل ذلك يصفه النبي ﷺ بالشيطان يقول ﷺ " هل منكم الرجل إذا أتي أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج يتحدث ويقول فعلت بأهلي كذا وكذا . فسكتوا ، فسأل النساء فسكتن ، فقامت امرأةٌ وقالت : يا رسول الله إنهم ليتحدثون . وإنهن ليتحدثن . فقال هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة بالسّكّة فقضي حاجته منها والناس ينظرون إليه" [رواه أبو داود] .

٧- عدم تعجل المرأة قبل قضاء حاجتها :

ويجب علي الزوج أن يراعي حاجة زوجته عند الجماع فلا يكون كل همه قضاء شهوته هو دونها ، ولكن عليه أن ينتظرها حتى تقضي شهوتها وتشبع رغبتها كاملة فلقد روي أبو يعلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال " إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها . فإذا قضي حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها " [أبو يعلى في المسند].

وهذا أيضاً خطأٌ آخر كبير يقع فيه كثيرٌ من الأزواج مما يجعل المرأة لا تشعر بمتعة الجماع التي كانت تسمع عنها قبل الزواج . وقد لا تعرف من أين يأتي التقصير ؟ وقد تطلب الانفصال عن الزوج لهذا السبب .

فعلي الزوج أن يراعى أن معه إنسانة لابد أن تستكمل رغبتها .

فالمرأة تريد منك ما تريده منها .

فما أروع وما أعظم هذا الدين الذي يلبي احتياجات النفس الإنسانية ولا يترك شيئاً مهما كان حرجاً إلا وضحه .

ولذلك قالوا إن الإسلام هو دين الفطرة بمعني أنه الدين الذي ينسجم مع الفطرة الإنسانية ويشبع رغباتها . وكيف لا يكون ذلك ؟ وهو المنُزل ممن خلق هذه النفس ويعلم ما جُبلت عليه ويعلم ما يصلحها وما يكبح جماحها ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك :٢٠] وهذا سرٌ من أسرار هذا الدين لذلك فهو يجذب الكثيرين من الناس للدخول فيه .

٨- **عدم الإتيان في غير المآتي :**

فمن الأخطاء الشائعة أيضاً : إصرار بعض الرجال أن يأتوا زوجاتهم في أدبارهن ، وهذا مما تأباه الفطرة ، وينفر منه الطبع ، ويحرمه الشرع . فإن الله تعالي قد حدّد الموضع الذي تُؤتي فيه المرأة وهو موضع الحرث : أي المكان الذي إذا وضعت فيه النطفة جاء منه الولد يقول تعالي ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة :٢٢٣] والحرث هو موضع الغرس وموضع غرس الولد في القُبل فالأمر بإتيان الحرث معناه الإتيان في الفَرْج (القُبُل) . وليس في الدُبر .

وللأسف الشديد أن كثيراً من الشباب يقعون في هذا الخطأ ، وسببه ما يشاهدونه في الأفلام المخلّة بالآداب والمواقع الإباحية على (الإنترنت) . والغريب أنهم يشاهدون

ذلك بحجة أنه يزيد من قوتهم الجنسية ويجعلهم أشد إقبالاً على زوجاتهم ، وهذا خطأ كبير فإن علماء النفس والتربية أثبتوا أن كثرة مشاهدة الأزواج لهذه المشاهد المخلّة بالآداب تضعف قوتهم الجنسية وتقلل من قوة إقبالهم علي زوجاتهم، ورغبتهم فيهن .

وذلك لأنه يرى في هذه المواقع أشياء وأفعال وأزياء لا يراها حين يعود إلي زوجته مما يجعله يزدري زوجته ويستقلها بل ويحتقرها أحياناً .

أما من يأتون النساء في أدبارهن إذا نهيتهم عن ذلك وجدت منهم جدلاً سوفسطائياً غريباً فيتخذون من قوله تعالى ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة : ٢٢٣] حجة بأن يقولوا إن الله أباح أن نأتي زوجاتنا أينما شئنا والحقيقة أن كلمة (أَنَّى) هنا اسم استفهام بمعني (كيف) والمعني أئتوا نساءكم بالكيفية التي تحبونها ، ولكن في الفرج .

ولعل سبب نزول هذه الآية يفسر لنا ذلك فقد روي البخاري ومسلم أن اليهود كانت علي عهد رسول الله ﷺ تزعم أن الرجل إذا أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول وكان الأنصار يتبعون اليهود في هذا فنزلت هذه الآية لتبيح إتيان النساء بأي كيفية ما دام في موضع الحرث وهو الفرج . وقال رسول الله ﷺ " لا تأتوا النساء في أعجازهن أو قال في أدبارهن" [رواه الترمذي والبيهقي عن خزيمة] وقال عنها رسول الله ﷺ هي " اللوطية الصغرى " [أحمد في المسند بإسناد حسن]

٩- المزاح والمرح والمداعبة بعد الجماع :

من الأشياء التي تدخل السرور علي المرأة . أن يظل الرجل يداعبها ويمازحها حتى بعد قضاء حاجته منها وهذا من شأنه أن يُشْعرها بدوام رغبته فيها . وأنها إنسانة لها جاذبيتها وأنها دائماً مثار شهوته في كل الأوقات ليس قبل أو أثناء الجماع فقط .

فكثيٌر من النساء يشعرن أنهن لا قيمة لهن إلا عند الجماع وذلك بسبب هدوء الرجل وسكونه تماماً بمجرد أن يقضي حاجته .

وتعالوا بنا لنري معلم البشرية ماذا يصنع بعد جماعه فيما ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها قالت " كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد . فتختلف أيدينا عليه فيبادرني . حتى أقول دع لي دع لي قالت : وهما جنبان" [متفق عليه]. انظر إلي هذا المزاح والمرح حتى بعد الجماع وأثناء الغسل فينبغي علي الزوج أن ينمي هذه الصفة (الفكاهة والمرح بعد الجماع) لأن ذلك من شأنه أن يقوي أواصر المحبة بين الزوجين ويجعل كلاً من الزوجين دائماً في حالة رغبة في الآخر .

وقد يعتبر ذلك – المرح والمزاح بعد الجماع – أول المقدمات للجماع التالي الذي قد يكون بعد يوم أو أكثر وحتى لا تشعر المرأة أنها كالجماد لا قيمة لها إلا عند الجماع. هذا عن آداب الجماع . ونعود لبقية حقوق الزوجة:

رابعاً : العدل بين زوجاته :

- إذا كان الرجل متزوجاً بأكثر من زوجة يجب عليه العدل بينهن يقول النبي ﷺ " من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط (مائل معوج) " [رواه الترمذي والحاكم وقال على شرط الشيخين]

فإن مما أباحه الإسلام أن يتزوج الرجل بأربع نسوة لقوله تعالي ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا﴾ [النساء : ٣] .

وتجدر الإشارة هنا ويفسرها إلي أن كثيرين من الناس تجاه هذه الآية فريقان : فريقٌ يفهمها ويفسرها حسب هواه فيتصور أن هذا أمر من الله تعالي بالزواج بأكثر من واحدة وهذا فهمٌ خاطئ .

وفريق آخر يقول ويري بل وينادي بعدم التعدد ويدعي أن الإسلام لم يبح هذا إلا في أضيق الحدود .

والحقيقية أن معنى هذه الآية بعيد عن هذا و ذاك ؛ فالإسلام قد أباح التعدد ولكن لم يأمر به وفرقٌ كبير بين الإباحة والأمر. فليس معني الآية أن نطالب جميع الأزواج بالتعدد ولكن المعنى أن التعدد شيء مباح لمن وجد في نفسه الحاجة والرغبة والقدرة على الزواج بأكثر من زوجة وعلى العدل بينهن .

وقد يكون التعدد حلاً لكثيرٍ من المشكلات في المجتمع المسلم ومنها مثلاً :

١- من كانت طاقته الجنسية قوية بحيث لا تكفيه زوجة واحدة فأباح له الإسلام أن يفرغ طاقته الزائدة هذه في طريق آخر حلال وإلا فما عساه أن يفعل إذا لم يبح الإسلام له أكثر من زوجة؟ .

٢- إن المرأة يعتريها بحكم خِلْقتها بعض الأيام التي لا يستطيع الرجل أن يقربها فيها كأيام الحيض التي قد تمتد لأكثر من خمسة عشر يوماً وإذا أضفت إليها خمسة أو ستة أيام فيما قد يحدث من استحاضة . وأكثر من شهرين فى النفاس- قياساً على الأكثر فى كل حالة - . فإن وجود زوجة أخرى قد يكون حلاً لذلك .

٣- إذا كانت الزوجة لا تستطيع القيام بكل متطلبات الزوج الجنسية والأدبية والمعنوية فأيهما أفضل أن يتزوج بغيرها مع الاحتفاظ بها وعدم طلاقها .أم يطلقها؟ فقد يكون في الزواج الثاني تلبية لمتطلبات الزوج أو إصلاحاً للزوجة الأولي وبذلك يكون قد فاز بالحسنيين احتفظ ببيته الأول ، ووجد في زواجه الثاني ما يكمل ويشبع احتياجاته ويصلح به الزوجة الأولى .

التعدّد حل لمشكلة العنوسة :

١- وقد يكون التعدد حلاً لمشكلة العنوسة وهى عزوف أغلب الفتيات عن الزواج وكذلك الرجال بسبب بعض المشكلات الاقتصادية والتكاليف الباهظة للزواج وهي من أخطر المشكلات التي تهدد المجتمع المسلم عامةً والمصري خاصةً . فقد

وصل عدد العوانس في مصر علي سبيل المثال إلي تسعة ملايين عانس تقريباً رجالاً ونساءً .

فالتعدد حل ناجح وناجع لمشكلة العنوسة من عدة جوانب :

أولاً : الجانب الاجتماعي والنفسي :

١- في المجتمع الإنساني نري أن عدد الإناث أكبر من عدد الذكور فعدد النساء الصالحات للزواج يزيد علي عدد الرجال الصالحين للزواج .

٢- فترة الإخصاب :

وما يتعلق بها من فطرة غريزية عند الرجل تمتد بشكل عام لما بعد سن السبعين بينما تتوقف هذه الفترة عند النساء في سن أقل من الرجال بعشرين عام تقريباً .

٣- حالات فطرية نادرة :

هناك حالات تكون فيها الزوجة عازفة عن الوظيفة الفطرية بسبب السن أو قلة الرغبة في الرجال وعلي الرغم من ذلك فإن الاثنين لا يريدان الانفصال فيجوز للزوج حينئذ أن يتزوج بآخرى .

٤- عوامل أخرى طارئة :

هذا بالإضافة إلي أن الرجال معرضون للوفاة بنسب أكثر من النساء بحكم العمل أو الحروب. مما يزيد عدد النساء الأرامل وبسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع والتكاليف الباهظة للزواج كما أشرنا من قبل يكثر عدد البنات اللاتي لا يجدن أزواج فيتأخرن في الزواج إلى سن متأخرا ولنفس الأسباب يكثر عدد المطلقات في المجتمع .

وهذا يظهر بوضوح في المجتمعات التي تحرّم التعدد .

وهذا الواقع يؤدي إلي عدة احتمالات :

الأول : النساء الفائضات اللاتي لم يتزوجن إما أنهن يكبتن فطرتهن فلا يعرفن الرجال في حياتهن . فالخاسر هو المرأة .

وإما أنهن يعرفن الرجال كأخلاّء في الظلام . ولما كان هؤلاء النساء فائضات فإن علاقتهن غير الشريفة إما أن تكون مع رجال متزوجين وبالتالي يكنّ السبب في خيانة نساء أخريات .

وإما مع رجال غير متزوجين وفي كلتا الحالتين تكثر الرذيلة ولن تتغير نسبة الفائض من النساء . وهكذا نري أن الخاسر أيضاً هو المرأة .

الثاني : الرجال الصالحون للإخصاب مع زوجات انتهت فترة إخصابهم إما أن يكبتوا فطرتهم والخاسر ساعتها هو الرجال .

وإما أن يعرفوا النساء الفائضات كخليلات فتكون خيانةً لزوجاتهم فالخاسر هو المرأة .

وفي كل الحالات فالمرأة تدفع ثمن خيانة زوجها بسبب وجود هؤلاء النساء الفائضات اللاتي لم يكبتن فطرتهن .

وهنا نقول لمن ينادون بمنع التعدد بحجة أنه حماية للمرأة من الإهانة : إن الخاسر بمنع التعدد هو المرأة فكون نسبة الإناث تزيد علي نسبة الذكور يقتضي أن منع التعدد ضد مصلحة المرأة بوجه عام .

لأنه إذا تم حرمان بعض الرجال من الزواج بزوجة آخري ففي مقابله يتم حرمان بعض النساء المطلقات أو الأرامل أو العوانس من الزواج بصفة نهائية . ومع زيادة عدد النساء سينقلب الحال وستصبح المرأة هي التي تطرق باب الرجل المتزوج ليكون خليلاً لها بدلا من أن تكون زوجة كريمة بجوار زوجةٍ أخرى .

فبكثرة الوفيات في الرجال بوجه عام لكثرة تعرضهم للأخطار سواء في العمل أو السفر أو الحروب يكثر عدد الأرامل وبسبب بعض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية – وهي كثيرة في هذا الزمان – يكثر عدد المطلقات .

فبالله عليكم من لهؤلاء الأرامل والمطلقات بعد مفارقة أزواجهن لهن؟ أيتركن بدون زواج فيحرمن من هذه الفطرة ؟ أم يتركن عرضةً للانحراف؟ أم الأولي تحصينهن بتزويجهن ولو من رجال متزوجين وتحصين المجتمع من أخطارهن إذا انحرفن ؟

علي الجانب الآخر لا يجب أن ننسي أن التعدد لابد أن يكون له سبب قوي لا مجرد التغيير فقط بعد ما ألف الزوج الزوجة الأولي .

وإذا كان البعض يحتج أو يتعلل بتعدد زيجات النبي ﷺ فنقول له :

لو نظرنا إلي زيجات النبي ﷺ لوجدنا أن كل زيجة منها كان لها سبب ومن ورائها هدف نبيل لم يكن من بينها هدف شهواني – كما يدعي الغرب زورا علي رسول الله ﷺ – فكم من زيجة للنبي ﷺ كانت فتحا جديداً للإسلام وخيراً كثيراً للمسلمين ولا عجب حينما نري رجلاً ذهب إلي رسول الله ﷺ يشكو له ضيق الرزق فقال له رسول الله ﷺ " تزوج . فقال إني متزوج فقال ﷺ : تزوج " ففتح الله له أبواباً جديدة من الرزق. يقول تعالي ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢]

ثانياً:الجانب التشريعي:

ومع أن الإسلام قد أباح التعدد وقرنه بالعدل فإن بعض الناس يفهمون خطأً أن الله عندما ربط التعدد بالعدل في قوله تعالى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا ﴾ [النساء :٣] و نفي عن كل الرجال القدرة علي العدل في قوله تعالي ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء : ١٢٩] فيفهمون من ذلك تحريم التعدد لعدم القدرة على العدل .

والرد عليهم واضح أن العدل في الآية الأولى هو العدل في الأمور المادية من النفقة والسكنى القَسْم لهن – كل واحدة ليلة – أما العدل المقصود الآية الثانية هو العدل في الميل القلبي ولذلك وضحه في نفس الآية حينما قال ﴿فلا تميلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[النساء : ١٢٩] فمعني العدل المقصود بالنفي في الآية هو العدل في الميل القلبي لأن هذا مما لا يتحكم فيه البشر. ولعل النبي ﷺ يشير إلى ذلك المعني حينما كان يعدل بين نسائه في القَسْم لهن (كل واحدة ليلة) ولكنهن جميعاً كن يعرفن أنه يميل قلبه إلى عائشة ولذلك كان يتضرع إلي الله بقوله " اللهم إن هذا قَسْمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك وتملك " [أبو داود والحاكم وقال على شرط مسلم] وعلي هذا فيجب العدل بين الزوجات في العطاء والمبيت وكما قال الإمام أبو حامد الغزالي : " إنما يجب عليه العدل في العطاء والمبيت أما في الحب والوقاع : فذلك لا يدخل تحت الاختيار" (١) قال الإمام القرطبي تعليقاً علي قوله تعالي ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء :١٢٩] أخبر الله تعالي بنفي الاستطاعة على العدل بين الزوجات وذلك في ميل الطبع بالمحبة والجماع والحظ من القلب فوصف الله حالة البشر وأنهم بحكم الخِلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلي بعض" (٢) .

وهكذا نرى أن التعدد قد يكون ضرورة وحل لبعض وأهم مشكلات المجتمع.

ورغم كل ما سردناه من إباحة الزواج الثاني وأهميته في حل مشكلة العنوسة .

فلابد من اشتراط القدرة علي العدل في الأمور المادية والحسية . وإعطاء الحرية الكاملة للمرأة في قبول الزواج من رجلٍ متزوج .

---

(١) أحياء علوم الدين ج٢ ص ٥٠

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

كما يجب إعطاء الحق للزوجة الأولى في البقاء والرضا بضرة أو الانفصال. وهكذا نرى أن أحكام الله تعالى أحكام مطلقة مجردة عن التاريخ والزمان والمكان وأن فرض التصورات البشرية على النصوص القرآنية. وعدم النظر إلى النصوص القرآنية إلا من منظار التاريخ والزمان والمكان يشوه صورة الأحكام القرآنية المطلقة العادلة ويوهم ضعاف الإدراك بخضوع الدلالات القرآنية للأحداث التاريخية المرحلية ؛ ويضع أفق الفكر الإسلامي في إطار تصورات البشر وأهوائهم – التي قد تضر بهم – كما نري اليوم في مسألة المناداة بعدم تعدد الزوجات من مشكلات اجتماعية ونفسية يدفع ثمنها الإنسان أولاً وآخراً ..

كل ذلك بسبب البعد عن فهم حقيقة أحكام الإسلام وتشريعاته.

خامساً : إظهار المحبة بالقول والفعل والتغزل فيها :

فمن حق الزوجة على زوجها أن يظهر محبته لها بالقول والفعل فإذا كان النبي ﷺ يقول في الحديث الشريف " إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه " [أبو داود] فالزوجة أولي الناس بإظهار هذه المحبة .

أما إظهار المحبة بالقول : فيكون بذكر محاسنها والتحدث لها عن بعض مفاتنها فإن ذلك مما تُطرَب له المرأة .

ولنأخذ هذا المثال الرائع من مغازلة علي بن أبي طالب لزوجته فاطمة ريحانة رسول الله ﷺ " دخل يوماً عليها فوجد في فمها عوداً من أراك "السواك" فأراد أن يمازحها ويغازلها فنظر إلي عود الأراك وجعل يكلمه ويقول :

حظيت يا عود الأراك بثغرها *** أما خفت يا عود الأراك أراك؟

فلو كنت من أهل القتال قتلتك *** ما فاز مني يا ســـــواكُ سواك

انظر إلي هذا الغزل البليغ المباح وما أجمل تأثيره في نفس الزوجة .

أما إظهار المحبة بالفعل فيكون مثلا بإطعامها الطعام بيدك في فمها . ولك علي ذلك أجر لقولهﷺ " حتى اللقمة ترفعها إلي فيّ " فم " امرأتك يكون لك أجر " بالإضافة إلى أن ذلك يطيب خاطرها .

وكذلك الشرب موضع شربها والأكل موضع أكلها تقول السيدة عائشة " كنت أشرب وأنا حائض ، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه موضع فيّ فيشرب . وأتعرق العرقة (العظم عليه بقايا اللحم) وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه موضع فيّ (فمي) "
[صحيح مسلم]

فكان النبي ﷺ يضع فمه موضع فم عائشة في المأكل والمشرب ومتى ؟ وهي حائض وفي كلمة حائض قال بعض أهل العلم إن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك شهوة ، بدليل أنها كانت حائض وإنما كان يفعل ذلك إظهاراً للمحبة وفيه إشارة إلي ضرورة عدم ترك الزوجة كليةً أثناء الحيض وعدم إشعارها بالتقذر منها . فقد ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تتحرج أن تقدم طعاماً أو شراباً للنبي ﷺ أثناء حيضها فتعجب من ذلك وقال لها " ليست حيضتك في يدك " [النسائي ومسلم] في إشارة من النبي ﷺ إلي أن التحرج في الحيض يكون من الجماع في الفرج فقط أما ما دون ذلك فمباح تقول السيدة عائشة : " كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن " [رواه البخاري ٢٩٥] .

سادساً : التزين والتجمل والتطيب للزوجة :

من حق الزوجة على زوجها أن يتزين لها وأن يظهر لها في أحسن مظهر حتى تري منه ما تقر به عينها ويعفها عن النظر إلى غيره من الرجال .

فهناك كثيرٌ من الرجال لا يعبئون بكل هذه المعاني عند التعامل مع زوجاتهم وقد نري مثلاً من يريد تقبيل زوجته والرائحة الكريهة تنبعث من فمه سواء من بقايا الطعام، وعدم تنظيفه لأسنانه ، أو لرائحة التدخين أو المسكرات أو غير ذلك .

ثم يتعجب بعد ذلك من نفور الزوجة وتأففها منه خاصة عند الجماع . راجع نفسك تعرف السبب .

فليحرص الزوج ألا يقرب زوجته إلا وهو طيب الفم، طيب الرائحة ، حسن المظهر ، وليأخذ القدوة من رسول الله ﷺ حيث كان يبدأ أول ما يبدأ عند دخول بيته بالسواك لأنه كان يحرص علي أن تكون رائحة فمه طيبة كما سبق في الحديث الشريف وقد عرضنا أنه كان يبدأ أهله بالتقبيل .

هذه هي مدرسة النبوة التي تخرج منها الصحابة الكرام ولذا لا عجب إذن أن نري أحد تلاميذ هذه المدرسة وهو عبد الله بن عباس وهو يقول " والله إني لأتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي وما أحب أن أستوجب كل حقي الذي لي عليها ولا تستوجب حقها الذي لها علي " لأن الله تعالي يقول ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعرُوفِ﴾ [البقرة : ٢٢٨] وقد علق الإمام القرطبي علي هذا القول وتلك الآية بقوله " إذن فالمرأة تريد منك كما تريد أنت منها في التجمل والتزين " (١) فالتزين للزوجة ضروري وهو سبب من أسباب استمرار السعادة الزوجية كما قد يكون سبباً في إنهائها ونفور الزوجة من الزوج وأسوق إليكم مثلاً علي ذلك : دخل رجلٌ علي سيدنا عمر بن الخطاب وكان رجلاً أشعث أغبر ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا ولا هذا . فعرف كراهية المرأة لزوجها فأرسل الزوج ليستحم ويأخذ من شعر رأسه ويقلم أظافره ويتطيب . فلما حضر لم تعرفه الزوجة ونفرت منه . فلما عرفت أنه زوجها قبلت به ورجعت عن دعواها . فقال عمر " هكذا فاصنعوا لهن. فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزينّ لكم " .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

والتزين للرجال له حدود لا إفراط في التزين فيخالف السنة بتشبهه وتزينه بما لا يليق بالرجولة ويبعث علي التخنث ، ولا تفريط بترك الزينة كليةً ، ولكن ليحرص كل زوج علي تطييب فمه وحسن ثيابه وحسن مظهره .

سابعاً : القناعة بالزوجة :

فيجب علي الزوج أن يقنع بزوجته وألا يفتتن بغيرها ممن حرّم الله إلا بالحق وهو (الزواج الشرعي) فيجب علي الزوج أن يقنع بجمال زوجته وألا يستجيب لدعاة التبرج والسفور والفتنة ، ولا يمعن النظر في النساء خاصة في التلفاز أوالمواقع الإباحية أوالمجلات التي زيفتها الألوان والمكياج . فقد ينفخ الشيطان في نظر بعض الرجال فيقارن بين زوجته العفيفة الطاهرة وبين تلك السافرات العاهرات يقول تعالي ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] لأن ذلك شرٌ مستطير وسببٌ لتدمير كيان الأسرة وهذا كثيرٌ في زماننا .

وعلاج ذلك ما أخبر به النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله (أن رسول الله ﷺ قال : إن المرأة تُقبل في صورة شيطان . وتُدبر في صورة شيطان . فإذا أبصر أحدكم امرأة "يقصد افتتن بها" فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه " [أخرجه مسلم]

وهذا علاج نأخذه من سنة الحبيب ﷺ لأن النفس دائماً ترغب في كل ما هو جديد أو كما يقال : (كل ممنوعٍ مرغوب) ولو تزوج الرجل أجمل نساء الأرض ثم سمع بإمرأةٍ أخري لتهافت عليها.

فليقنع كل زوج بما عنده من الحلال ولا يرغب في الحرام ، ولينظر إلي من هو أقل منه ليزداد قناعةً بما عنده . وإن ابتلي بهذا الهاجس في نفسه يوماً فليلجأ إلي الله ولسان حاله يقول ما قاله يوسف "عليه السلام" ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا

يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف :٣٣] وتأكد أن الاستجابة ستكون سريعة كما كانت مع يوسف ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف : ٣٤] .

وإذا كنا نوصي الرجل بعدم النظر والتطلع أو الافتتان بغير الزوجة فإننا في نفس الوقت نوصي الزوجة بالقناعة بزوجها وعدم الافتتان بغيره من الرجال فكما أمر الله الرجال بغض البصر كذلك أمر النساء يقول تعالي ﴿وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ ﴾ [النور :٣١]

ثامناً :الجلوس إلي الزوجة والتحدث إليها والتشاور معها :

إن كثيراً من الأزواج بحكم عملهم كثيرو الترحال والخروج والارتباطات والبعض الآخر كثيرو السهر إلي ساعات متأخرة ، ويقضي معظم أوقاته مع أقرانه خارج البيت – وحتى داخل البيت فتجده دائماً مشغول عنها حتى ولو كان بشيء مهم وقد رأينا كيف نهى رسول الله ﷺ سيدنا عثمان بن مظعون عن الانشغال عن أهله ولو بالعبادة والتقرب إلى الله وذكر أن ذلك حق " وإن لأهلك عليك حقاً " فأين حق الزوجة من الجلوس إليها تفضي إليها وتفضي إليك تفضفض إليك بما يجول في خاطرها خير لها ولك من أن تلجأ إلي غيرك يؤنس وحدتها التي تسببت فيها أنت بعدم جلوسك إليها ؟.

وما أكثر وما أسهل أن تجد المرأة اليوم من يصاحبها ويسمع لها ويهتم بها ويُسْمعها ما لا تسمعه منك سواءً في العمل أو في السوق أو في البيت عن طريق وسائل الاتصال المختلفة والمباحة وما أكثرها في هذا الزمان (تليفون – فاكس – انترنت . الشات وما أدراك ما الشات – الفيس بوك – اليوتيوب – وغيرها ...) وعندها لا تلومن إلا نفسك .

ناهيك عن أن محادثتك إليها تُشْعرها بقيمتها وإنسانيتها .

فتشاور مع زوجتك – وإن لم تكن محتاجاً إلي مشورتها– فإن ذلك يرفع شأنها ويطيب خاطرها.، ولا تدري لعلك تجد عندها رأياً سديداً. فلا تُحِّقرن من المعروف شيئاً فلن تعدم الرأي والمشورة أبداً .

فهذا رسول الله ﷺ وهو الذي يوحي إليه – يستشير أم سلمة زوجته في صلح الحديبية عندما أمر أصحابه بنحر الهَدْي والتحلل من الإحرام فلم يفعلوا لأنه شقّ عليهم أن يرجعوا ولا يدخلوا مكة . فشق عليه ذلك دخل مهموماً علي أم سلمة بخيمتها فأخبرها بالأمر . فأشارت عليه بأن يخرج ويتحلل من إحرامه ويحلق وينحر الهَدْي أمام أصحابه فسيفعلون مثل ما فعل .

وكان الرأي صائباً فقام فتحلل من إحرامه ونحر فنحر الصحابة بنحره .

هذا نموذج من مشاورته ﷺ لأهله وهناك نموذج آخر من حياة النبي ﷺ عندما رأي الوحي أول مرة في الغار وارتعد منه فعاد إلي السيدة خديجة رضي الله عنها وقال : زملوني زملوني . فهدأت من روعه وطمأنته أن الله ناصره ولن يخذله أبداً وعلّلت ذلك بأنه يقري " يكرم " الضيف ويصل الرحم ويعين علي نوائب الدهر.

هكذا تكون الزوجة نعم المعين لزوجها إذا أشعرها بقيمتها.

فبكثرة محادثتك معها تنمو العلاقة الزوجية وتتأصل و كلما تجددت المحادثات التي تؤلف القلوب.كلما قويت هذه العلاقة أكثر وأكثر فليخصص كلُ زوجٍ جزءً من وقته لأهله ليحادثهم ويشاورهم .

تاسعاً : الوفاء لها بعد مماتها :

والمقصود بالوفاء لها : هو تذكرها دائماً بالخير وذكر حسناتها وحفظ عيوبها عن الآخرين .

وليس المقصود كما يفهمه الكثير مع العوام أن يظل بعدها بدون زواج فليس هذا هو الوفاء فالإنسان بشرٌ يحتاج إلي زوجة وخاصة إذا كان متزوجاً ثم فقد زوجته فإنه يكون أحوج إلي الزوجة من غيره لأنه ذاق طعم الزواج واعتاد عليه .

فإن الوفاء الذي يطلبه منه المجتمع وهو ألا يتزوج بعدها – رغم احتاجه إلى الزواج – سوف يوقعه في أحد أمرين :

إما أن يكبت رغبته التي أحلها الله له . وإما أن يقع في الفاحشة . وكلاهما مر .

ناهيك عن احتاجه كلما كبر سنه إلي من يقوم برعايته وقضاء حوائجه ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فكان يحب خديجة أيما حب ويقدّرها أيما تقدير وليس أدل علي ذلك من أنه لم يتزوج بغيرها حال حياتها ، ولكن بعد وفاتها رأي أنه يحتاج إلي زوجة ترعي بناته بعد خديجة فتزوج بالسيدة سودة بنت زمعة وكانت كبيرة في السن لا تُشتهي .

فلم يمنعه وفاؤه وحبه لخديجة أن يتعجل الزواج بعدها .

وإذا أرد أن تعرف كيف يكون الوفاء فسوف اعرض عليك صورة من صور وفائه ﷺ لخديجة : فكان يثني عليها ويفضلها علي سائر أمهات المؤمنين ويبالغ في تعظيمها بعد وفاتها حتي أن السيدة عائشة قالت يوماً " ما غرت من امرأةٍ أكثر من خديجة من كثرة ما كان الرسول ﷺ يذكرها " [رواه البخاري] وتقول أيضاً " كان رسول الله ﷺ يذبح الشاة ويقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة " [البخاري] وعنها أيضاً أنها قالت " كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم "يمل" من ثناءٍ عليها واستغفار لها فحملتني الغيرة فقلت لرسول الله ﷺ لقد عوضك الله من كبيرة السن " قالت : فرأيته غَضِب غضباً أسقطت في خلدي (بالي) وقلت في نفسي " اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد اذكرها بسوء فقال النبي ﷺ : والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ منعني الناس ، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني"

[أحمد في المسند بإسناد حسن] وتقول عائشة أيضاً " دخلت علينا عجوزٌ يوماً وهو عندي فقام ﷺ وأكرمها حتى أخذتني الغيرة فقلت يا رسول الله ﷺ : تُقْبل علي هذه العجوز هذا الإقبال ؟ قال ﷺ إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حُسن العهد من الإيمان" [الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين] .

انظر إلي كل هذا الوفاء من النبي ﷺ لخديجة حتى بعد وفاتها بمدة طويلة فرغم زواجه بتسع زوجات بعدها ظل وفياً لها ولصدائقها ولكل شيء يربطه بها .

هكذا يكون الوفاء .

وأخيراً أقول : أخي الزوج إني أخاطب فيك الرجولة ، والعقل ، والحكمة ، والتروي ، وحسن الخلق ، وأنبهك إلى أن السعادة مفتاحها بيدك فلا تضيعه ولتعلم أن التعامل مع الزوجة فن لابد أن تتعلمه ومهنة لابد أن تحترفها واعلم أنها مخلوق مثلك لها من الحقوق ما لك سواءً بسواء لقوله تعالي ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة : ٢٢٨]

فلتؤد هذه الحقوق عن طيب خاطر وسخاوة نفس لتسعد في حياتك ولتؤجر علي ذلك اتباعاً لأوامر الله واتباعاً لأوامر النبي ﷺ في سنته الشريفة فنحن مأمورون بذلك لقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: ٧] ولقوله تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شيء فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء : ٥٩] .

أما أنتِ أيتها الزوجة فلتسمعي ما عليكِ من واجبات كما عرفت ما لكِ من حقوق.

حقوق الزوج على زوجته

لقد قلنا سلفاً أن التعامل مع الزوجة فنٌ يجهله كثيرٌ من الرجال وهنا أُذكّر أيضاً النساء وأقول لهن : إن التعامل مع الزوج أيضاً فنٌ تجهله كثيرات من النساء وأقول لكلا الزوجين :

لو أن أحدكم كان ملاكاً بحسن خلقه ، ولطفه ، ومعاملته ، فإن ذلك لا يكفي في السعادة الزوجية بل لابد لكل طرف أن يقوم بواجبه تجاه الآخر. ويعلم الله أن هذه المحاولة – اقصد هذا الكتاب – هي عصارة فكر ،واطلاع ،ومشاورات ،وتجارب حياتية واقعية . بالإضافة إلى وقفات وتأملات في آيات القرآن الكريم ووقفات في بيت النبوة – فهو الجامعة التي ننهل منها والمعين الذي لا ينضب أبداً .

وقبل أن أخوض في الحديث عن حقوق الزوج فإني أُذكّر الزوجة أولاً بما أشرنا إليه من قبل عند حديثنا عن الحكمة من خلق حواء من ضلع آدم : أريدكِ أيتها الزوجة أن تتذكري وأنتِ تؤدي هذه الحقوق أن آدم هو الأصل لكِ وهو الملاذ والمأوي الذي تحبين أن تأوي إليه .

فلتنظري إليه علي أنه الواحة الغنّاء التي تجدي فيها راحتك لا تنظري إليه علي أنه الحاكم المتجبر المتسلط الذي يأمر وينهي ويجب أن يطاع ويهاب وترتعدي من رؤيته أو كما يقولون " سي السيد " .(تلك الصورة السيئة التي صورها بعض الأدباء ، مثل نجيب محفوظ ، للرجل في أعمالهم وقالوا أن ذلك هو دأب الرجال في العالم الإسلامي وهذا فهم خاطئ) .

ولنبدأ في بيان حقوق الزوج علي زوجته وهي كالتالي :

أولاً : طاعته في غير معصية الله :

فيجب علي الزوجة أن تطيع زوجها في كل ما يطلبه منها ما لم يكن مخالفاً لشرع الله .

وهذه الطاعة من شأنها أن تحفظ كيان الأسرة من التصدع والانهيار وتبعث علي المحبة من الزوج لزوجته وعلي العكس تماماً فإن كثرة عصيان الزوجة لزوجها وعنادها يورث في قلبه كرهاً وضيقاً وضجراً من الحياة معها .

فإن الرجل السوي لا يحب المرأة المتسلطة المتجبرة ولكنه يألف دائماً المرأة المطيعة .

واعلمي أيتها الزوجة أن هذه الطاعة ليست طاعة تجبر وتسلط من الزوج . كلا بل إنها طاعة تتطلبها القوامة تلك القوامة التي أعطاها الله للرجل علي المرأة في قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] .

وهذه القوامة كما رأيتم لها أسباب ومتطلبات . فسببها أن الرجال أعطاهم الله خصائص لم تعط للنساء مثل القوة والتحمل والتعقل وكفالة الأسرة ورعايتها كما أعطي المرأة خصائص أخري لم تعط للرجل مثل اللين والعاطفة والقدرة على رعاية البيت وتربية الأولاد وهى أشياء لا يستطيع الرجل القيام بها وعليه ولابد أن نعرف أن الرجل والمرأة عنصران مكمل أحدهما نقصاً عند الآخر ليقوم البيت على دعائم قوية وثابتة .

ولتعلم الزوجة أن الله تبارك وتعالي حينما فرض عليها طاعة زوجها فإنه في نفس الوقت يأجرها علي ذلك فقد أثني الله تعالي علي الطائعات لأزواجهن ووصفهن بالصلاح في قوله تعالي ﴿فالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء : ٣٤] فالمقصود بالقانتات هن الطائعات ويقول المصطفي ﷺ "إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وأطاعت زوجها ، وحصّنت فرجها . قيل لها : ادخلي من أي أبواب الجنة شئتِ " [رواه أحمد] .

ويؤكد الرسول ﷺ علي ضرورة الطاعة بقوله " لو كنتُ آمراً أحداً بالسجود لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، فوالذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي علي ظهر قتبٍ (جمل) لم تمنع " [رواه الترمذي وقال: حسن غريب] أي لو طلبها الزوج للجماع وهي راكبة علي ظهر جمل في سفر والمعني لو طلب جماعها وهي في هيئة أو وضع لا يسمح لها بذلك . وإذا كانت الزوجة مأمورة بهذه الطاعة وهي في نفس الوقت مأجورة عليها.

إذن فلتؤدها عن طيب نفس حتى تأخذ الأجر كاملاً .

ولتعلم الزوجة أن أعلي مراتب الطاعة أن تطيع زوجها فيما تكره لا فيما تحبه فقط. فمثلاً إذا دعاها لأمر هي لا ترغب فيه ولا تريده فطاعتها له في هذه الحالة أكثر أجراً من طاعتها له فيما إذا أمرها بشيء تحبه وتريده وتشتهيه . وكمال الطاعة أن تؤدى بكل سرور ورضي أما إذا أدّت المرأة هذه الطاعة متأففة متبرمة يعلو وجهها العبوس والضيق فإن هذه الطاعة كعدمها . (١)

ومن حسن الطاعة للزوج أن تبادر إلي إرضائه إذا غضب ولا تنتظر أن يبدأ هو. فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ " قال : ألا أخبركم بنسائكم في الجنة ؟ قلنا : بلي يا رسول الله قال : ودودٌ ولودٌ إذا غَضِبَت أو أُسِي إليها أو غضب زوجها قالت هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ (أي لا أنام) حتى ترضي " [الطبراني في الأوسط] فخير نساء الجنة هي التي تتودد إلي زوجها لإرضائه . وهذا أبو الدرداء يضع أساساً لحياته مع زوجته في بداية زواجه فيقول لها " إذا غضبت فرضّني وإذا غضبتِ رضّيتك وإلا لم نصطحب " .

انظر إلي أبي الدرداء لا يطلب من زوجته في بداية حياتهما إلا شيئاً واحداً : هو أن تبادر إلي صلحه وإرضائه إذا غضب ، ويتعهد لها بأن يصنع ذلك معها هو أيضاً .

وإني لأرى أن ذلك وحده يكفي لسعادة الزوجين .

ولقد شاعت فكرة خاطئة بين عدد من المثقفات وهي :

أن مساواة الرجل بالمرأة ومشاركتها معه في العمل والإنفاق على البيت تتطلب عدم إلزامها بطاعته في كل الأمور .

---

(1) د. أحمد إسماعيل المقدم " المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية " .

فهذه مقدمة خاطئة أدت إلي نتيجة أكثر خطأً . فلقد حكم القرآن الكريم بقوامة الرجل علي المرأة . ولقد بيّنا معني القوامة ومتطلباتها ورأينا كيف أنها تكليف وليست تشريف أو تفضيل.

إذن فما معني أن يأتي عدد من المثقفين الذين يبالغون في المناداة بتحرير المرأة وينادون بالمساواة التي تتطلب عدم إلزام الزوجة بطاعة الزوج في كل الأمور.

وهذه الأفكار كانت وستكون سبباً في هدم بنيان عدد كبير من الأسر في عصرنا الحاضر والمستقبل.

وحتى لو سلمنا جدلاً بالمساواة فإن المساواة لا تتطلب عدم الطاعة .

لأن طاعة رئيسك في العمل مثلاً لا تعني ولا تتطلب عدم مساواته بمرءوسيه ولكنها عملية تنظيمية فقط . فرئيسك لا يفضلك إلا بكثرة الالتزامات المطلوبة منه وكذلك الرجل حتى وإن شاركته المرأة في بعض هذه الالتزامات .

ولتعلم سيدات هذا العصر أن الرجل السوي لا يحب المرأة المسترجلة التي تناطح زوجها كلمةً بكلمةٍ ورأياً برأي وتصر علي مخالفة أمره لمجرد إثبات الذات .

فإن الرجل في هذه الحالة إما أن يعيش معها كئيباً عابساً وإما أن يطلقها وبذلك تكون قد حرمت نفسها من سعادة هي في أمس الحاجة إليها دون أن تشعر . ولابد أن تعلم الزوجة أن قبول عبادتها متوقف علي طاعة زوجها ورضاه يقول المصطفي ﷺ " أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة " [الترمذي وقال حسن] والمفهوم المخالف لهذا الحديث أن كل امرأة ماتت وزوجها عنها غاضب لن تشم رائحة الجنة ويقول ﷺ : " اثنان لا تجاوز صلاتهما رءوسهما : عبدٌ أبق من مواليه حتى يرجع ، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع " [الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك] .

ثانياً : لزوم بيت الزوجية :

فمن حق الزوج علي زوجته ألا تخرج من البيت إلا بإذنه وبعلمه ولابد أن يعلم الجهة التي تتوجه إليها ، وأن تكون صادقة في ذلك فلا تقل مثلاً: إني ذاهبة إلي مكان كذا ، ثم تتوجه إلي مكان آخر .

وأروي في ذلك قصة – إن صحت – فجاء أن امرأةً غاب عنها زوجها وكان قد خرج للجهاد فعلمت المرأة بمرض أبيها فلم تستطع الخروج لرؤيته دون إذن زوجها حتى مات أبوها ولم تعده (أي تزوره) فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال لزوجها أبلغ زوجتك أن أباها في الجنة لحسن تربيته لها . ([1])

وحقه أيضاً ألا يدخلن بيته أحداً يكرهه يقول المصطفي ﷺ " ألا إن لكم علي نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً وحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون" [أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح] .

وكم من مشكلات حدثت بين الأزواج إما بسبب خروجها وزيارتها لمن لا يرغب الزوج فيهم ، أو إدخال بيته من لا يرغب الزوج فيهم ويضطر الزوج آسفاً أن يحلف عليها بأغلظ الأيمان أو بالطلاق أحياناً والزوجة لا تدرك قيمة هذا اليمين فلا ترتدع بل وتذهب إلي من حذرها منهم الزوج دون علمه أو تدخل في بيته من لا يرغب الزوج فيه فيقع اليمين وقد لا تخبر زوجها بذلك فيعيشا معاً في الحرام والزوج لا يدرى والزوجة لا تعبأ باليمين . وتلك طامة كبرى .

فياليت نساء اليوم يلتزمن المنهج الإسلامي في هذا الصدد .

([1]) أحياء علوم الدين – الإمام الغزلي ج٢

ثالثاً : خدمة المرأة لزوجها والقيام بما يحتاجه :

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يجعل للزوج مهام يقوم بها وللزوجة كذلك . هذه المهام اقتضتها طبيعة الخِلقة فالرجل للعمل والكد والزوجة للقيام علي خدمته وتربية أولاده .

وهذه المهمة – مهمة المرأة – لا تقلّل أبداً من شأن المرأة كما تظن بعض النساء ولكنها من أشرف المهام وأهمها علي الإطلاق . وقد تفوق في أهميتها وشرفها مهمة الرجل .

وليس أدل علي ذلك من أن المرأة قد تستطيع أن تقوم بمهمة الرجل من العمل والكد – كما نري في بعض نساء هذا العصر – ولكن ليس كل الرجال يستطيعون أن يقوموا بمهمة النساء من الخدمة وتدبير البيت ورعاية الأولاد إلي غير ذلك .

وإذا كانت هذه هي المهمة الأساسية للمرأة في الحياة وهذه منزلتها وقدرها وشرفها وفى نفس الوقت هي حق للرجل عليها فعليها أن تقوم بها طاعة لله لتثاب عليها من الله .

وقد حكم رسول الله ﷺ بين عليٍّ بن أبي طالب وفاطمة زوجته رضي الله عنها فجعل علي فاطمة خدمة البيت وجعل علي عليٍّ العمل والكسب فروي أن السيدة فاطمة جاءت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقي في يديها من التعب وتسأله خادماً فقال : " ألا أدلكما علي ما هو خير لكما مما سألتما : إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين واحمدا الله ثلاثاً وثلاثين وكبرا الله أربعاً وأربعين فهو خير لكما من خادم" [متفق عليه] والشاهد في ذلك أن رسول الله ﷺ قد حدَّد للزوجة مهمتها وهي خدمة البيت . وللزوج مهمته وهى : العمل والكسب .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت : كنت أخدم الزبير "زوجها " خدمة البيت كله ، وكان له فرس فكنت أسوسه ، وكنت أقوم عليه ، وأعلفه ، وأسقي

الماء ، وأخرز الدلو ، وأنقل النوى علي رأسي من أرض له علي ثلثي فرسخ (الفرسخ: ثلاثة أميال وثلث ٣.٣كم) فرآها رسول الله ﷺ فأقرّها علي ذلك وأثنى عليها.

وعن حسين بن محصن قال حدثتني عمتي قالت : " أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة فقال : أي هذه أذات بعل ؟ قلت نعم قال : كيف أنتِ له ؟ قلت : ما آلوه إلا ما عجزت عنه . قال : فانظري أين أنت منه . فإنما هو جنتك ونارك " [الحاكم في المستدرك وقال: صحيح] .

فالزوجة الصالحة تتقرب إلي الله بخدمة زوجها سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: " أي الناس أعظم حقاً علي المرأة بعد ربها : قال زوجها "

[رواه النسائي]

رابعاً : تأديبها :

فمن حق الزوج أن يلي تأديب زوجته إذا نشزت

ولكن هذا التأديب ليس علي إطلاقه ولكنه مشروط ومقيد فيراعي فيه التدرج .

ولكن أولاً تعالوا لنعرف معني النشوز الذي يستوجب التأديب فالنشوز هو : العصيان أي عصيان المرأة لأمر زوجها وللنشوز صور مختلفة نوضحها فيما يلي:

صور النشوز

ومن صور نشوز الزوجة :

١- امتناعها عنه بغير عذر وفي هذه الحالة لا تستوجب التأديب فقط بل هي مستحقة للعنة الملائكة لقوله ﷺ " أيما امرأة دعاها زوجها إلي الفراش فأبت . باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح" [رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله ثقات]

٢- تكرار خروجها من بيته بغير إذنه .

٣- إدخالها أحداً في بيت زوجها لا يرغب زوجها فيه وتكرار ذلك .

٤- تكرار الخطأ أو تعمد تكراره .

٥- كثرة مخالفتها وعنادها لزوجها . وغير ذلك من أمثلة النشوز .

وفي هذه الحالة يوضح لنا الحق تبارك وتعالي كيف يكون العلاج ومتى يكون التأديب؟ فيقول تعالى ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٣٤] .

ولقد فهم كثيرٌ من الأزواج هذه الآية فهماً خاطئاً فبالغوا في إهانة المرأة ليس هذا فقط بل إن أعداء الإسلام قد اتخذوا من هذه الآية مدخلا للطعن في الإسلام وقالوا بأنه دين يدعو إلى إهانة المرأة وضربها .

والحقيقة أن الفريقين لم يفهما الآية على الوجه الصحيح فمنهم من أخذ الآية علي ظاهرها فوعظ مرة ثم هجر مرة ثم ضرب مرات و مرات وأفضل ما جاء في تفسير هذه الآية أن الوعظ أولاً ويكون عند خوف النشوز أي قبل النشوز والهجر عند ظهور النشوز والضرب عند تكراره فالتدرج المذكور في الآية مقصود .

والذي يحسن أن نفهمه من الآية أن المرأة إذا أخطأت يجب أن تُوجه ويُصوّب خطؤها بالوعظ والإرشاد والتوجيه ويكرر ذلك الوعظ مرات ومرات إذا تكرر الخطأ شريطة ألا يكون الخطأ جسيماً .

ولابد أن يكون التأديب علي قدر الخطأ فمثلاً لا يهجر ولا يضرب في خطأ لا يستحق إلا الوعظ والتوجيه فقط . ولابد أن يعلم الزوج أن كل بني آدم خطّاء .
والمرأة كثيرة النسيان نظراً لكثرة أعمالها وتعدد وتنوع ما هو مطلوب منها ، فيكون الوعظ عند تكرار الخطأ من باب ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
[الذاريات : ٥٥]

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الهجر ويكون في المضجع فقط والمقصود هو ترك الجماع وليس ترك مكان النوم أو ترك البيت كليةً . ويراعى ألا يبالغ فيه أكثر من أربعة أشهر .

وينبغي أن يقصد بالهجر التأديب فقط لا الإضرار بها .

ولا يُشعر أولاده بذلك ولا يترك البيت فترات طويلة إمعاناً في الهجر لأن النبي ﷺ قد حدّد الهجر في البيت فقال " ولا تهجر إلا في البيت " [أبو داود] ولا يهجرها بعدم الكلام لأن عدم الكلام أكثر من ثلاثة أيام يحرم لقوله ﷺ " لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" [متفق عليه] ثم ينتقل بعد ذلك إلى الضرب والضرب المقصود في الآية مقيد بشروط وهى:

١- الإصرار علي النشوز والعصيان بعد التدرج في التأديب بالوعظ والهجر وتكرار ذلك مرات ومرات .

٢- أن يتناسب العقاب مع حجم الخطأ.

٣- أن يراعي أن المقصود من الضرب التأديب والعلاج والإصلاح والتوجيه كما تضرب أحياناً ولدك إذا أخطأ وليس المقصود بالضرب الإضرار أو الإيذاء والإيلام ، فيراعي التخفيف فيه علي أبلغ الوجوه بأن يكون بشيء يتحقق به معني الضرب كأن يكون بلكزةٍ أو وخذةٍ بالدِرة (عصا صغيرة) أو بما في حجم السواك .

وقد أشار الرسول ﷺ إلي ذلك المعني حينما قال " فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح " [ابن ماجه] قال : " ابن عباس الضرب غير المبرح هو الضرب بالسواك " وهو عود لا يتعدي طوله ١٠سم فالمقصود هو تحقق معني الضرب وليس المقصود الإيلام والتوجع كما يحدث من سفهاء الناس في هذا الزمان .

١- أن يتجنب في ضربه المواضع المحرمة كالرأس والبطن والوجه فقد نهي رسول الله ﷺ عن ذلك فقال لأحد أصحابه " لا تضرب الوجه ولا تُقبِّح ولا تهجر إلا في البيت" [أبو داود]

٢- عدم معاودة الضرب إن ارتدعت بهذا الضرب الخفيف لأن ذلك تجبر وظلم وبغي نهي الله عنه في الآية ووضح أن ذلك استعلاء من الزوج علي زوجته فيذكر بأن الله هو العلي الكبير ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ [النساء : ٣٤] قال ابن كثير : " هو تهديد للرجال إذا بغوا علي النساء من غير سبب فإن الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغي عليهن " .

وأعلم أخي الزوج أن ترك الضرب مع إباحته وبقاء الرخصة فيه أفضل لما رواه أياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال رسول الله ﷺ " لا تضربوا إماء الله " فأتاه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ذئر (تجرأن) النساء علي أزواجهن فأذن ﷺ في ضربهن فأطاف بآل محمد نساءٌ كثيراتٌ كلهن يشكين أزواجهن فقال النبي ﷺ : لقد أطاف بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشكين أزواجهن ولا تجدون أولئك خياركم [رواه أبو داود] وفي رواية أخري " اضربوهن ولا يضرب إلا شراركم " ولكن لابد أن نعلم أن هناك من النساء من لا يصلحها إلا الضرب ومنهن من لا يُصْلحها الضرب بل قد يفسدها .

ومقصود الشارع الحكيم هو الإصلاح لا الإفساد .

وإذا كان الشارع الحكيم قد أباح الضرب فإن السنة المطهرة قد قيّدته وقننّته ووضّحت كيفيته بأن يكون لكزة لينة أو ضرباً بالسواك وإن النبيﷺ قد صرح بأن شر القوم هم الذين يضربون ثم تعجب النبي ﷺ ممن يضرب ويتخذ الضرب وسيلة دائمة لتأديب زوجته . فكيف يفكر بعد ذلك في جماعها؟ يقول ﷺ " ما بال أحدكم يضرب

امرأته ضرب الفحل ولعله يضاجعها من ليلته " [البخاري] وذلك لأن الجماع إنما يحسن مع ميل النفس والرغبة في العشرة ، والضرب عادةً يورث النفور .

والحديث يشير إلي ذمه . إذ كيف يُعقل أن يضرب الرجل امرأته ثم يعانقها ويقبلها؟ ففي ذلك تناقض كبير ولأن ذلك يورث النفور ويوغر الصدور ويقضى على المحبة التي هي روح العشرة .

فسنته الفعلية ﷺ عدم ضرب النساء فلم يرد عنه ﷺ أنه ضرب إحدى نسائه يوماً ، وإن جاز ضربهن .

وسنته القولية في قوله ﷺ " ليس أولئك خياركم " .

إذن فالطريقة الفضلى هي عدم ضرب النساء البتة فضرب النساء وإهانتهن ليس من الرجولة كما يتصور كثيرٌ من السفهاء الذين يتسترون وراء هذا الإذن القرآني ووراء القوامة التي يرون أنها طوق في عنق المرأة لإذلالها وتسخيرها وقد نسي أنها مخلوق مثله مكرم من قبل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء : ٧٠].

أما من يتهمون الإسلام بأنه يهين المرأة ويطالب بضربها وإذلالها فنقول لهم :

إذا كنتم تستكثرون مشروعية التأديب للناشز ألا تستكثرون أن تنشز المرأة وتترفع وتعصي زوجها فتجعله مرؤوساً لها بعد أن كان رئيساً حتى أنها لا تلين لوعظه ولا تبالي بهجره . إذن فكيف نعالج هذه المرأة؟ أنتركها تتكبر علي زوجها؟ أم نطالب الزوج مع أول عصيان أونشوز أن يطلقها فنهدم أسرة كاملة لخطأ من الممكن إصلاحه بعدة وسائل وإن كان من بينها الضرب ؟ فقد يكون الضرب نوعاً من العلاج فقد يتألم الإنسان حين يأخذ العلاج في صورة حقن تؤلمه ولكن قد يكون في هذا الألم الشفاء والعافية للبدن .

وهذا ما قصده الإسلام من إباحة الضرب . (١)

خامساً : ألا تصوم نفلاً إلا بإذنه :

فلا يحل لامرأة أن تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها . لأنه قد تتوق نفسه إلي جماعها وفى هذه الحالة فإشباع رغبته وإعفافه أولي من صيام التطوع فعن أبي هريرة قال ﷺ " لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه " [البخاري] ومعنى شاهد أي موجود معه أما إذا كان غائباً فيجوز وجاءت إمرأةُ صفوان بن المعطل تشكو إلي رسول الله ﷺ من زوجها أموراً منها : أنه يفطرها إذا صامت فسأله عن ذلك فقال إنها تنطلق فتصوم "أي تكثر من الصيام" وأنا شاب فلا أصبر فقال ﷺ : لا تصم امرأة إلا بإذن زوجها " [أبو داود وابن حبان والحاكم] .

سادساً : ألا تُكلم أحداً في بيتها من غير محارمها إلا بإذنه :

فعن عليٍّ بن أبي طالب قال " نهي رسول الله ﷺ عن أن تُكَلّم النساء –يعني في بيوتهن– إلا بإذن أزواجهن" لأنه مظنة وقوع الفاحشة بتسويل الشيطان .

سابعا: أن تحفظه في نفسها وماله :

وذلك بأن تصون فرجها وتحترم غيبته يقول ﷺ " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته ، وإذا أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله " [رواه مسلم] .

ويجب عليها أن تصون ماله من الضياع وذلك بحسن التدبير للمال وعدم إخراجها شيئا من ماله ولو صدقة إلا بإذنه يقول ﷺ " لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرَطِب من الطعام فإنها إن فعلت ذلك – أي تصدقت من ماله بغير إذنه – كان له الأجر وعليها الوزر " [رواه مسلم] .

---

(1) د. محمد تقي الدين الهلالي " أحكام الخلع في الإسلام " .

وهل تعلمين أيتها الزوجة المسلمة أنه لا يحل لكِ أن تتصدقي بشيء من مالك أنتِ إلا بإذن زوجك لقوله ﷺ " لا يجوز لامرأةٍ أمرٌ في مالها إذا ملك زوجها عصمتها " [أبو داود]

وعليه فإن تصرف بعض الموظفات في مرتبها دون علم زوجها عليها فيه وزر لأن للزوج حق في هذا المال لأن الوقت الذي تقتطعه الزوجة في العمل ملكٌ للزوج وليس معني إذنه لها بالعمل أنه ليس له حق في هذا المال .

وأيضاً ليس معني إذنه لها بالعمل إنه يجب منعها ولكن المقصود أن تخبره بأي تصرف مالي لها خاص بمالها فيتشاورا في سبل إنفاقه أما مالها الخاص كميراث وغيره فلها أن تُعْلِمه فقط من باب العلم بالشيء .

ولتأخذي الدرس والعظة من السيدة خديجة التي تزوجت النبي ﷺ وهو فقيرٌ وقبل أن تعرف أنه نبي بخمسة عشر عاماً – وقفت يوماً في حِجر الكعبة وقالت : " يا معشر قريش أشهدكم أني وهبت مالي كله لمحمد بن عبد الله هبةً وعطيةً " هذه المقولة أهديها لكل امرأة تتجبر وتتسلط وتستعلي علي زوجها بمالها ووظيفتها .

ولا يتعارض ذلك مع مبدأ الذمة المالية التي كفلها الإسلام للمرأة لأن الذمة المالية تكون في حدود مع تمتلكه المرأة قبل الزواج أو ما ورثته بعد الزواج أما مرتبها فهو أجر استنفذ وقتاً . هذا الوقت من حق الزوج .

ثامناً : الرضا والقناعة بحال زوجها :

فيجب علي الزوجة أن تُقدِّر طاقة زوجها المالية وتقتصد في ماله ولا ترهقه بطلباتها – غير الضرورية – ولا تتطلع إلي ما عند الغير ولا تريد أن تحاكي أقرانها من النساء بل تنظر دائماً إلي من هى أقل منها لأن ذلك أجدر وأقرب أن تري نعمة الله عليها فلا تستقلها ولا تحتقرها يقول المصطفي ﷺ " انظر إلي من هو دونك فذلك أحري ألا تزدري نعمة الله عليك " [الترمذي] .

تاسعاً : ألا تُكثر من الغيرة :

فكثير من النساء يكثرن الغيرة ويبالغن فيها بدرجة تصل أحياناً إلي حد الاختناق.

فلتقتصد كل زوجة من الغيرة علي زوجها ، وأن تتجنب ما يؤذيه ، وأن تشكر له ما صنع لها ، و لا تكثر من العتاب ، فقد أوصي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته يوماً فقال لها : " إياكِ والغيرة . فإنها مفتاح الطلاق ، وإياكِ وكثرة العتب . فإنه يورث البغضاء " وقال رجلٌ لزوجته يوماً :

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدف مرة * فإنك لا تدرين كيف المغيب ؟

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى * ويأباك قلبي والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى * إذا اجتمعا لم يلبث الحب أن يذهب

عاشراً : التجمل والتزين للزوج :

إن المرأة بأنوثتها ونعومتها فقط . قادرة علي كسب قلب الرجل والتأثير فيه فكيف إذا أضيف إليه التزين والتحلي ؟ عندها يكون لها وقع السحر فيصبح الرجل أسيراً كسيراً .

فعن أسامه بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ " ما تركت بعدي فتنةً هي أضر علي الرجال من النساء" [مسلم] . فسمّاها ﷺ فتنة .

فيا أيتها الزوجة! إنك تشتكين كثرة خروج زوجك من البيت وعدم جلوسه معكِ ، وتشتكين سوء أخلاقه وتصرفاته ، وربما أوجع قلبك بكثرة ذكره للنساء أو الزواج من

أخري ، وربما تشتكين من عدم حبه لك أو عدم قضائه حوائجك ، أو تشتكين من تغيره .

فلم يعد ذلك الزوج الذي عرفتيه أيام الزواج الأولي . أو غير ذلك من المشاكل .

فأقول لك أيتها الزوجة : فقط انظري إلي حالك وهيئتك داخل البيت ستجدين أنكِ مع مرور الأيام والشهور والسنين تركت ذلك السلاح الذي كنت تستعملينه معه . لم يعد يري منكِ ذلك الجمال ، وتلك الزينة ، ولم يعد يسمع تلك الكلمات الرقيقة ، والهمسات الحانية . فهو لا يري سوي التبذل ولبس الثياب البالية والشعر المنكوش والوجه العبوس ولا يسمع سوي صراخ الأطفال ، والسب ، والشتائم ، وكثرة الطلبات ، ورنين الهاتف ، وكثرة التشكي !

فما هذه الأسنان التي فيها بقايا الطعام والتي تحدث الرائحة الكريهة التي تنبعث من الفم ساعة الاعتناق؟ حتى إذا أصابه الاختناق ، وأراد الافتراق ونادي بالطلاق ، ذهبتِ تبحثين عن ساحر أو مشعوذ ليعيد لك الوفاق ؟!! وأنتِ .. أنتِ عندك السحر الحلال ولكنك لا تشعرين أو أنك تهملين! قال الله تعالى ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف : ١٨] فالمرأة قد جُبلت من صغرها علي حب التزين والتحلي فهو فطرة عند المرأة . فقد أصبح كثير من الأزواج اليوم لا يري جمال زوجته إلا عند خروجها للمناسبات والعزائم . فيراها في أبهي صورة ، وأجمل حُلّة، وإذا حدّثها في ذلك وقال لها : لماذا لا تتزينين هكذا لي ؟ ضحكت وقالت : " أنت مش غريب يا أبو فلان " إنها حجة شيطانية ووسوسة إبليسية . كانت سبباً في هدم بيوتٍ كثيرة .

إذن : فعلاج المشكلات كلها بيدك أيتها الساحرة فأنت تملكين السحر الحلال الذي قد يكون سبباً لدخولك الجنة !

فهل تعقل نساء هذا العصر أنه لا حق عندها أعظم من حق زوجها إلا حق ربها سبحانه وتعالي ؟! فلينتبه لذلك نساء زماننا ! قال ابن الجوزي في صيد الخاطر : ومن الناس من يستهين بهذه الأشياء فيري المرأة متبذلة تقول : هذا أبو أولادي ويتبذل هو فيري كل واحد من الآخر ما لا يشتهي فينفر القلب وتبقي المعاشرة بغير محبة . وهنا يجدر بنا أن نقف عدة وقفات مع التجمل والتزين.

وقفات مع التجمل والتزين

الوقفة الأولى : إنفاق الأموال في الزينة طلباً لإطراء الناس :

أقف هذه الوقفة وأرجو ألا يسمعها الرجال فهي سرٌ للنساء فقط فأقول : إن أكثر ما تنفقه معظم النساء اليوم إنما هو لشراء أدوات الزينة من العطور ومستحضرات التجميل ... إلى آخره .

وأكثر ما نشاهده في الأسواق هو محلات الخياطة النسائية ومعارض الملابس النسائية مما يدل علي كثرة الإقبال عليها .

وأغلب أوقات المرأة ينصرف في الوقوف أمام المرآة والاهتمام بشكلها .

كل ذلك يُصْرف ويضيع والمصيبة أن الزوج ليس له من هذا نصيب ! إذن فلمن كل هذا ؟! لا يهمها كثيراً إعجاب زوجها إنما المهم إعجاب صديقاتها ومعارفها فهي تباهي وتفاخر وتتزين لانتزاع عبارات الإطراء والإعجاب من أفواه الناس !

إذن فالدافع لتجمل أكثر النساء اليوم هو حب الظهور والبروز واستنطاق عبارات المدح والثناء .، والمرأة التي تصرف جهدها ووقتها ومالها واهتمامها في مطلب كهذا لا شك أن لديها سفهاً وشعوراً بالنقص . على أن هذه النزعة تختلف من امرأةٍ لأخرى فالنساء لسن سواءً وغالب من تعمد إلي تلك الأساليب وإلي تطبيق أحدث الموضات

على نفسها نساء عندها نقص فيما حباها الله به من الجمال أو العقل فتبالغ بل وتُفرط في أمور الزينة لتعويض ذلك النقص.

الوقفة الثانية : ضوابط الزينة :

إن لهذه الزينة ضوابط وحدود يجب أن تراعي فلا يجوز من الزينة ما يغير خلق الله فيستوجب اللعنة من الله فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله " [البخاري] فاحذري سخط الله ولعنته فهذه الأعمال محرمة .

وكذلك من ضوابط الزينة ألا يكون بها تشبه بالكفار أو الرجال فعن النبي ﷺ قال : " لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال " [البخاري] .

وألا يكون لباس شهرة فكل ذلك محرم فعن النبي ﷺ قال " من لبس ثوب شهرة ألبسه الله إياه يوم القيامة ثم أُلهب في النار" [ابن ماجه] وإذا كان التزين للأجانب أو للخروج إلي الأسواق أو غير ذلك فهو كذلك محرم مغضب لله تعالي يقول النبي ﷺ " ما من امرأة خرجت من بيتها متزينة متعطرة يشم رائحتها الرائح والغادي إلا لعنتها الملائكة في كل خطوة " ولا أنسي أن أقول : إن أجمل وسائل الزينة : السواك . وكثرة المضمضة . والعبادة . فإن كثرة العبادة لها نور وجمال في الوجه قال تعالي ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] وقال ﷺ " الصلاة نور " [البخاري] نور حسي ومعنوي ، أما المعنوي فمعروف ، وأما الحسي فنور الوجه وجماله .

حادي عشر : المرح والمزاح واللطف مع الزوج :

وهذا أسلوب آخر من أساليب السحر الحلال وذلك لأني أسمع الكثير من الشباب عند البحث عن زوجة فإنهم يجمعون علي قولهم : أريدها مرحة. لأنها بكلماتها الرقيقة

وبسماتها العذبة تملأ أركان البيت سعادة وبحركاتها الخفيفة وألعابها الجديدة وروحها المرحة تبدد الروتين والملل في حياتها الزوجية .

فتذكروا جيداً تلك الكلمات الغالية من قدوتنا وحبيبنا ﷺ عندما قال لجابر رضي الله عنه: " هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك " [البخاري] فهي بتوددها لزوجها والاقتراب منه والقعود إلي جنبه وملاطفته تأسر عين زوجها وتملك قلبه ولُبّه فلا يمل مجلسها .

فن التعامل مع الزوج :

اسمعي لهذا الموقف من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (وجِد رسول الله ﷺ علي صفية – أي غضب علي صفية – فقالت صفية لعائشة : هل لك إلي أن ترضين رسول الله ﷺ عني وأجعل لك يومي ؟ قالت عائشة : قلت : نعم ! فأخذت خماراً لها مصبوغاً بزعفران فرشّته بالماء ثم تقول : اختمرت به فدخلت عليه يومها – أي في يوم صفية – فجلست إلي جنبه فقالﷺ : إليك يا عائشة فليس هذا بيومك فقلت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ! ثم أخبرته خبري " [ابن ماجه] أرأيتِ فن التعامل مع الزوج ؟! استفيدِ من معلمة الرجال والأجيال انظري إلي فعل عائشة رضي الله عنها تجملاً وتطيباً واقتراباً للزوج وتكسراً له . فتملكين القلب وتأسرين النفس .

فسبحان من أودع هذا السحر في المرأة . ولذلك كانت الدعوات الأولى في أول لقاء ليلة العرس " اللهم إني أسألك خيرها ، وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما جبلتها عليه " ومن شرها : مزاج نكد ، ونفسية متعكرة ، وشكاية، وتبرم ، وضيق ، وهم ، وغم ، وانطواء ، ووسوسة ، وعبوس ، نعوذ بالله من شرها ولذلك كان من دعاء عباد الرحمن ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان : ٧٤] . ولن تقر العين إلا بالزوجة المرحة والضحوك البسّامة .

ثاني عشر :الاعتراف بجميل الزوج وشكره :

فأغلب النساء لا يحبون الاعتراف بجميل أزواجهن ولقد أشار ﷺ إلى هذا المعنى حينما قال: " يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة : بم يا رسول الله ؟ قال ﷺ تكثرن اللعن . وتكفرن العشير. قالت : وما كفرانه ؟ قال ﷺ : لو أحسنت إلي إحداهن الدهر ثم رأت منك هِنّةً قالت : ما رأيت منك خيراً قط! " [أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري] انظر إلي هذا الحديث الذي يصور حال النساء في كل عصر .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال " لا ينظر الله تبارك وتعالي إلي امرأةٍ لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه " [رواه النسائي] . وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : " لو كان من قدمه إلي مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه " [المسند بسند فيه ضعفٍ] .

فيا أيتها الزوجة المسلمة اتقِ الله وأدِ الأمانة التي أنتِ مسئولة عنها وهي طاعة الزوج والإحسان إليه ، والاعتراف بجميله وشكره فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " لو أني أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تجد حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي علي ظهر قتب" [ابن ماجه] .

فيا أيتها الزوجة : اعلمي أن كلمات ، شكر وثناء عذبة الألفاظ ، رقيقة المعاني ، سحرٌ تفعل في الرجال الأفاعيل .

ثالث عشر : من حقه عليها أن تبر أهله وتحسن صحبتهم

فعلى الزوجة أن تبر أهل زوجها وتحصن معاملتهم لا سيما أبوه وأمه فمن المشاع دائماً هذا الخلاف الدائم بين الحماة وزوجة ابنها عادةً . وهي ظاهرةٌ طبيعية وتفسيرها:

أنه صراع بين عاطفتين جيّاشتين . ولكن عندما يفهم كل طرف طبيعة الآخر بهدوء تام سوف يكون الوئام هو شعار التعامل بينهما بعد ذلك .

فمنشأ هذا الخلاف أولاً هو الفهم الخاطئ من الحماة ونظرتها لزوجة الابن علي أنها إنسانة غريبة جاءت لتشاركها حب ولدها لها وتأخذ قسطاً كبيراً من هذا الحب.

بل إنها لتتصور أن هذه الزوجة جاءت لتأخذ ابنها منها فتحاول أن تجذبه لها بشتى الطرق إما بالتودد إليه أحياناً وإما بمحاربة زوجته والكيد لها وسوء معاملتها أحياناً أو بوضع الفتن والقلاقل بينهما أحياناً أخري حتى توغر صدر ابنها علي زوجته . ظناً منها أنه سيتحول حبه إليها أي إلي أمه .

وكذلك تجد رد الفعل من الزوجة أعنف مما تتصور . فتحاول الزوجة هي الأخرى أن تجذب زوجها إليها وتحرره من أسر والديه .

فيظلان – الزوجة والحماة – يتجاذبان الزوج حتى تتحول الحياة إلي جحيم وقد تنتهي الحياة بالطلاق إذا انتصرت الأم بمكائدها أو قد تستمر الحياة بينهما بالعقوق إذا استطاعت الزوجة أن تستعدي أهل زوجها عليه وتوغر صدره علي والديه وفي الحالتين دمار للحياة الزوجية .

فلابد لكل طرف أن يفهم دوره ويعلم أن حبه لهذا الشخص مختلف عن حب الآخر له ولابد للأم أن تعلم أن حب ولدها لزوجته لا يقلل أبداً ولا يتعارض مع حبه لها وعلي الزوج دور كبير في ذلك الأمر بأن يراعي هذا الجانب خاصة في بداية زواجه فلا يُشْعر أمه بأن واحدة قد أخذته منها .

وكذلك الزوجة لابد وأن تعلم أن ما تصنعه الحماة طبيعي وفطري ولابد أن تتعامل معه علي أنه أمر عادي بل إن استطاعت أن تُشْعر حماتها أنها لم تأت لتأخذ ولدها منها فإنها تستطيع بما تملكه المرأة من سحر وعذوبة أن تكسب حماتها في صفها

فتكون قد فازت بالحسنيين وهما حب حماتها ، ورضا زوجها عنها بحبها لأهله وتقديرها لهم .

ولابد أن تعلمي أن زوجك يحب أهله كما أنك تحبين أهلك . وإذا كانت الزوجة تحب زوجها فمن الطبيعي أن تحب كل ما ومن يحبه زوجها والزوجة الصالحة هي التي تعين زوجها علي بر والديه وليس العكس .

رابع عشر : وفاؤها لزوجها :

فيجب علي الزوجة أن تكون وفيةً لزوجها .

والوفاء للزوج يكون في حياته وبعد مماته . ففي حياته تحفظ عهده ، وتنفذ وصاياه، وتعمل بنصائحه ، وتُجلّه في حضرته ، وغيبته .

ويجب ألا يقل وفاؤها له بعد مماته عنه حال حياته ويكون ذلك بذكر فضائله وشمائله في كل موطن – حتى وإن تزوجت بغيره – فلا تتحرج أن تذكر زوجها الأول بكل خير مع مراعاة شعور زوجها الثاني بما لا يجرح شعوره أو يثير غيرته.

ولنأخذ مثالاً رائعاً علي ذلك من السيدة أسماء بنت عُميس تزوجت بجعفر بن أبي طالب فلما مات تزوجت بأبي بكر الصديق فلما مات تزوجت بعلي بن أبي طالب وذلك في عصر الصحابة ولم يلمها أحد في ذلك ولم ينكر عليها أحد.

وكانت تفاخر بجعفر وأبي بكر أمام عليّ زوجها فكانت تقول : " ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر . وما رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر" .

والعجيب أن زوجها علي بن أبي طالب مدحها وشكرها علي ذلك وقال " لو قلتِ غير ذلك لمقتك " أي لغضبت منكِ غضباً شديداً وكرهتك . فهذا هو الوفاء المقصود وليس الوفاء كما تتصور كثيراتٌ من نساء اليوم : هو عدم الزواج بعده فليس هذا من الوفاء وهذا خطأ فادح يقع فيه كثير من نساءنا في هذا العصر .

وهذا الفهم الخاطئ سببه نظرة المجتمع إلي الأرملة فالمجتمع كله يلوم الأرملة إذا أرادت الزواج بحجة أن ذلك يتعارض مع وفائها لزوجها وهذا الخطأ من شأنه أن يجعل الأرملة : إما أن تقع في الفاحشة ، وإما أن تعيش بقية حياتها تعاني وتكابد لأواء الغريزة الجنسية الفطرية ومرارتها . وفي الحالتين ظلم بيّن للأرملة .

فعلي المجتمع كله أن يعلم حقيقة الوفاء للزوج وليفهم أن الإسلام قد ضرب للأرملة أجلاً تنتظر فيه بعد وفاة زوجها بما يسمي " العدة " وهي نوع من الوفاء للزوج فمن حِكم وأهداف العدة أن تنتظر المرأة فترة بعد وفاة زوجها لا لتعرف براءة رحمها فقط بل مراعاةً لمكانة زوجها المتوفى فمن غير الطبيعي أن يموت الزوج اليوم أو يطلق زوجته فتتزوج بآخر في اليوم التالي مباشرةً .

ليس هذا فحسب ولكن العدة فيها مراعاة لمشاعر وأحاسيس المرأة نفسها فمن غير الطبيعي أن تكون المرأة اليوم في أحضان رجل وغداً في أحضان رجل آخر ولذلك شرعت العدة .

ويكون اعتدادها : بلزوم بيت الزوجية ، وترك الزينة ، وعدم التعريض لها بالزواج طيلة أربعة أشهر وعشرة أيام وبعدها يجوز لها أن تتزين وتستعد للخطّاب. وهذا هو هدي الإسلام .

فعلى المجتمع أن يتكاتف لمساعدة الأرملة أن تتزوج فهو خير من إعطائها مال ، أو عقار ، أو صدقة . فإعفافها وتحصينها بالزواج أولي من غيرها من البكارى بل ومن السنّة أن يبادر أبناء الأرملة إن كانوا كباراً بعرض الزواج علي أمهم بعد وفاة أبيهم وأن يُلِحُّوا في ذلك .

لأنها ربما اشتهت الزواج ولكنها تستحي أن تفصح عن رغبتها حياءً من أبنائها من ناحية ، ومخافة اللوم من المجتمع من ناحية أخري .

بل إني لأرى أن سرعة زواج الأرملة – إذا أرادت الزواج – يعد نوعاً من الوفاء لزوجها المتوفى لأنها يجب أن تكون أحرص الناس علي عدم تلويث شرفه بالفاحشة

فيقال زوجة فلان انحرفت من بعده أهذا خيرٌ أم زواجها ؟ ألاَ فلْيصحِّح المجتمع نظرته إلي الأرملة وليعلم أن زواجها فيه إعفاف لها ، وترفقاً بحالها ، وإلزام رجل آخر بالإنفاق عليها . وفيه كذلك تحصين للمجتمع من انتشار الرذيلة بكثرة الأرامل اللاتي رغبن في النكاح ووجدن صدوداً من المجتمع فانحرفن وارتكبن الفاحشة بل وقد يتاجرن بها . إذن فماذا جني المجتمع من جرّاء تقاليد وأعراف ومفاهيم خاطئة ما أنزل الله بها من سلطان ؟

والكلام عن حقوق الزوج يطول ويطول وأراني أريد الالتزام بما وعدت به في بداية هذا الكتاب من الحرص علي الإيجاز قدر المستطاع لذا أري أن أختم كلامي عن حقوق الزوج بتلك الوصايا العشر والعجيب أن التي تقدم لنا هذه الوصايا امرأة من الجاهلية الأولي ولكن ما أحوجنا إلي هذه الوصايا في عصرنا الحاضر الذي تسلطت فيه المرأة وتجبرت بدعوي التحضر والمدنية .

امرأة من الجاهلية تعظ نساء هذا العصر

الوصايا العشر :

الوصايا العشر التي نأخذها من امرأةٍ في الجاهلية قبل الإسلام وهي السيدة أُمامة بنت الحارث وهي توصي ابنتها حين زفافها فتقول:

" أي بنية إنكِ فارقتِ الجو الذي فيه نشأتِ . والعُش الذي فيه درجتِ ، إلي وكرٍ (بيت) لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليكِ رقيباً ومليكاً ، فكوني له أمة (خادمة) يكن لك عبداً وشيكاً ، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لكِ ذخراً (سنداً) .

أما الأولى والثانية: فالصحبة له بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة . ففي القناعة راحةً للقلب ، وفي حسن المعاشرة مرضاة للرب .

أما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه ، وأنفه . فلا تقع عينه منك علي قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

أما الخامسة والسادسة : فالتفقد لمواضع طعامه ، ومنامه . فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة .

أما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء علي حشمه ، وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

أما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سراً ، ولا تعصين له أمراً . فإنك إن عصيتِ أمره أوغرتي صدره ، وإن أفشيتِ سره . لم تأمني غدره .

وإياكِ والفرح بين يديه إن كان مغتماً (حزين) ، وإياكِ والكآبة بين يديه إن كان فرحاً .

واعلمي أنكِ أشد ما تكونين له إعظاماً . أشد ما يكون لكِ إكراماً .

وأشد ما تكونين له موافقةً . أطول ما يكون لكِ مرافقةً .

ولن تقدري علي ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاكِ ، وهواه علي هواكِ فيما أحببتِ أو كرهتِ ، والله يضع لك الخير ، وأستودعك " .

بتلك الوصايا اختتم كلامي عن حقوق الزوج فيا ليت كل أم تنصح ابنتها وتعلمها تلك الوصايا في بداية حياتها إذا كانت تريد سعادتها ولا تعتقد خطأً أن ذلك سيجعل الرجل مدللاً متجبراً سيداً متسلطاً عليها .

كلا بل انظر كيف تَعِدُها أمها بأنها إذا كانت له أمةً فسيكون لها عبداً لا سيداً متجبراً .

فلتبدأ الزوجة أولاً بالحسنى ولتعلم أن الإحسان يأسر قلوب أعتى الرجال بل إن الله قد وعدنا – ووعده حق – أننا إذا بدأنا بالحسنة فإن ذلك أحري أن يأسر الآخر بل ويجعله صديقاً حميماً قال تعالي ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت : ٣٤] فما النتيجة التي تترتب علي ذلك ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت :٣٤] .

إذا كان هذا الأسلوب ينجح مع عدوكِ اللدود . فكيف به مع أقرب الناس لك وهو زوجكِ ؟

ولتعلمي أختي الحبيبة أن زوجك مهما كان متجبراً متسلطاً فإنك تستطعين بما تملكيه من سحر حلال ، ومكر ، ودهاء . أن تستخدمي كل هذه الأسلحة التي حباكِ الله بها في الخير وفي ترويض زوجك وهو أمر هين جداً إذا أردتِ ذلك ولنأخذ مثالاً علي ذلك .

فيروي أن امرأةً كانت تشكو دائماً من كثرة اختلافها مع زوجها . فذهبت إلي أحد الحكماء فوعدها بحل جميع مشاكلها مع زوجها فطلب منها أن تأتي له بثلاث شعرات من رأس أسد . فخرجت متحيرة تفكر كيف تأتي بالشعرات ؟ وكيف تصل إلي الأسد ؟ فهداها تفكيرها أن تذهب كل يوم إلي الغابة وتحمل طعاماً للأسد فترمي به له فيلتهمه الأسد . وظلت تصنع ذلك عدة مرات حتى أَلِفها الأسد وأصبح يسكن أمامها حتى استطاعت بعد جهد أن تأخذ من رأسه الشعرات ، وذهبت بها إلي الحكيم ليصف لها الدواء ظناً منها أن الشعرات هي الدواء بالفعل ولكنها فوجئت بالحكيم يقول لها متعجباً: إذا كنتِ قد استطعتِ أن تروِّضي الأسد أفلا تستطيعين أن تروِّضي زوجكِ . وكان ذلك هو العلاج .

فالمرأة تستطيع أن تروض الرجل إذا أحسنت استغلال الأدوات والأسلحة الفتّاكة التي حباها الله إياها .

وليعلم كلٌ من الزوجين أن الحياة الزوجية فنٌ جميل قَلّ من يعرفه وأنها عبادة لله عز وجل يتقرب بها إلى الله كل زوج بتوددِه وحسن معاملته لزوجه .

فليتق الله كل واحد في الآخر ويراعِ حقوقه ويقف عند حدود الله فيها ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ [الطلاق : ١] .

***